سلسة ما واراء الجريمة

جريمة بعد منتصف الليل

ديوان العرب للنشر والتوزيع

اســـــم الكتاب: جريمة بعد منتصف الليل
اســـم المؤلف: محمود محمد أبو الفتح
التصنيـــــــف: رواية
الحجـــــــــم: 14 - 20
عدد الصفحات: 116
سنة الإصـــدار: 2025
رقـــم الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: 14356 / 2025
الترقيم الدولي: 2 – 206 – 971 – 977 - 978

تدقيـــق لغوي: لمياء علي
تصميم غـــلاف: منى الموجي
تنسيق وإخراج: فريق ديوان العرب

للتواصل: dewanalarabegypt@gmail.com
واتساب: 01030502390

سلسة ما واراء الجريمة

جريمة بعد منتصف الليل

رواية

محمود محمد أبو الفتح

ديوان العرب
للنشر والتوزيع

إهداء

إلى زوجتي،
يا من كنتِ النور في عتمتي، والسند في ضعفي، والنبض في صمتي .إليكِ يا من سكنتِ قلبي قبل أن تسكني عالمي، يا من علمتِني أن الحب ليس كلمات بل مواقف وصبر واحتواء. إليكِ أهدي كل حرف في هذه الرواية، وكل لحظة إبداع كانت انعكاسًا لروحك في حياتي.

إلى أبنائي،
أنتم الأمل الذي يكبر كل يوم، الحلم الذي أراه يتحقق في عيونكم . إليكم أقدّم هذا العمل عربون حب وفخر، فأنتُم امتدادي الحقيقي في هذه الحياة، ونور مستقبلي.

إلى أمي،

يا صاحبة الفضل الأول، يا من ببركتها تنهض أيامي وتزدهر خطواتي .إن كل نجاح أحق الناس به أنتِ، وكل مجد تلامسه يداي هو امتداد لتربيتك، وتضحياتك، ودعائك الذي لا ينقطع .كنتِ ولا تزالين المعلم الأول، والسند الذي لا يميل، والملجأ الذي لا يُغلق بابه .أنتِ تاج عمري، ومصدر عزّتي، ونبع عطائي .جزاكِ الله عني كل خير، وأدامكِ نورًا لا ينطفئ في حياتي.

وإلى دار النشر" ديوان العرب"،

كل الشكر والتقدير على احتضان هذا العمل وإيمانها برسالته، ودعمها حتى خرج إلى النور .شراكتكم كانت ركنًا أصيلاً في إتمام هذا الحلم، وتعاونكم محل اعتزاز وفخر.

وإلى الأستاذ محمد وجيه، رئيس مجلس إدارة دار ديوان العرب للنشر والتوزيع،

لك مني كل الشكر والتقدير على ما قدمته من دعم وثقة، وعلى احتضانك لهذا العمل بروح الداعم الحقيقي للأدب والمبدعين .كانت رؤيتك

ومساندتك حجر الأساس في إخراج هذا العمل إلى النور .دمتَ راعيًا للكلمة، وسندًا لكل قلم يبحث عن الحياة.

إلى الدكتور أحمد خالد توفيق،
الأب الروحي للأدب الحديث، وراسم ملامح الخيال في عقولنا .علمتنا أن الكتابة أمانة، وأن الحكاية قد تغيّر مصيرًا .شكرًا لك على إرثٍ باقٍ ينبض بالحياة، وعلى أثرٍ لا يُمحى.

محمود محمد أبو الفتح

****

أنا كمال إبراهيم، صحفي تحقيقات بجريدة صوت الجريمة. تخرجت من كلية الآداب قسم علم النفس، ثم حصلت على الماجستير والدكتوراه في علم نفس الجريمة، وكرست حياتي في دراسة هذا المجال الذي اعتبرته حب حياتي الوحيد. ولشغفي وتعلقي بالصحافة، قررت السفر ودراسة الصحافة في إنجلترا، ثم أكملت تحضير الماجستير والدكتوراه في الصحافة في إحدى أكبر الجامعات الأوروبية.

وبعدها تلقيت عرضًا من إحدى أستاذات الدكتوراه، وهي فرصة للتدريب في جريدة الديلي ميل الإنجليزية، وخلال فترة قصيرة من تدريبي تمكنت من الحصول على هذه الوظيفة واستمررت بالعمل بها عدة سنوات، تمكنت خلالها من عمل سلسلة تحقيقات كبيرة وانفرادات كانت السبب في حصولي على عدة ترقيات في كثير من المناصب في الجريدة.

وكنت حينها أتلقى عروضًا كثيرة للعمل في العديد من الجرائد والصحف، حتى تلقيت عرضًا للعمل في جريدة الجارديان الأمريكية، الجريدة الأشهر في العالم والتي كنت دائمًا أحلم بالعمل بها. وبالفعل، قمت بتقديم استقالتي فور وصول العرض، وسافرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقضيت عدة سنوات في العمل بجريدة أحلامي بقسم الحوادث.

ومع شغفي وحبي للعمل، مر العمر ولم أشعر به، فالآن وصلت إلى عمر الخمسين، وعندها شعرت بالحنين إلى الوطن، فالشعور بالحنين دائمًا ما يغلب، وفي النهاية قررت العودة إلى الوطن.

وفور وصولي إلى القاهرة، تلقيت العديد من العروض لتولي مناصب في معظم الجرائد الكبرى، وفي النهاية توليت رئاسة إحدى أشهر جرائد الحوادث، وهي جريدة صوت الجريمة. فأنا لم أقبل العمل بأي جريدة أخرى إلا بالموافقة على شروطي الملتزم بها لأقصى حدود، والتي كانت دائمًا تتلخص في حرية اختيار فريق العمل الذي سيكون تحت إشرافي في القسم، وعدم تدخل رئيس التحرير فيما أكتب أو فيما يخص القسم. وبالفعل، تمت الموافقة على تلك الشروط، وخلال فترة قصيرة أصبحت من أشهر الصحفيين في التحقيقات والحوادث.

بالإضافة إلى خبرتي الصحفية والنفسية، وشغفي بالبحث في علم الجرائم وتحليل الشخصيات الإجرامية، فقد نجحت في عمل لقاءات مع أخطر الشخصيات الإجرامية أثناء رحلتي في الدول الأوروبية، ومن لم أستطع مقابلته، كنت أقوم بمقابلة أقرب المقربين له لدراسة أبعاد شخصيته وسلوكياته، وتحديد الأسباب النفسية التي دفعته لارتكاب الجريمة.

وحتى الآن، لا توجد جريمة مهما كانت صعوبتها لم أستطع حلها وفك لغزها. وخلال هذه الفترة، شعرت أنني قمت بتحقيق جميع أحلامي، ما عدا حلمًا واحدًا فقط متبقي، وهو رغبتي الملحة في تأليف سلسلة من الكتب وأطلق عليها اسم "جرائم حدثت بالفعل". أقوم فيها بنشر الجرائم الغريبة والمحيرة التي قابلتني أثناء عملي، والتحقيق مع القاتل وحواري معه إن استطعت، أو حواري مع المقربين له وملابسات ارتكابه للجريمة.

وبالفعل، قمت بتأليف ونشر أول كتاب لي في هذه السلسلة، وقد حقق نجاحًا وصدى كبيرًا للغاية لم أكن أتوقعه، لدرجة انتهاء عدة طبعات كثيرة منه، وتُرجمت إلى عدة لغات، وحقق صدى عالميًا، فأصبح يُباع على أشهر المواقع الأجنبية، مما أثار التحفيز لدي لعمل باقي أجزاء هذه السلسلة.
وخلال وقت قصير، قمت بنشر باقي أجزاء السلسلة، وكان دائمًا يحقق الجزء الجديد نجاحًا أكثر من نجاح الجزء الذي يسبقه، وينتظر القراء أجزاء السلسلة بشغف كبير كانتظارهم حلقات مسلسل تلفزيوني شهير.

ومن هنا تنتهي قصتي وتبدأ قصتكم، أيها القراء.
فاليوم، أحدثكم عن واحدة من أغرب جرائم القتل التي حدثت. فعلى الرغم من مقابلتي لعدة جرائم، فهذه الجريمة من الجرائم التي لا أنساها أبدًا، وستعرفون السبب في نهاية قصتي.

بدأت القصة في يوم الجمعة في مارس ألفين وعشرون، في فصل الشتاء، وجدت اتصالًا من صابر صديقي. فقد تعرفت عليه منذ رجوعي إلى مصر، وتم بيننا عدة لقاءات، فهو رجل أعمال شهير وصاحب قناة تلفزيونية شهيرة ومرشح لعضوية مجلس النواب، حيث قام بدعوتي لحفل عشاء يقيمه كل سنة في فيلته، ولكن هذه المرة أقامه في فيلته الجديدة التي قام بشرائها في منطقة العين السخنة، وذلك للتحدث معي حول عمل برنامج

خاص بي وتحويل السلسلة التي قمت بتأليفها إلى مجموعة حلقات تمثيلية تلفزيونية.

وبالرغم من أن الفكرة شيقة ولطيفة نوعًا ما، إلا أنني كنت في حالة من الحيرة بين الموافقة والرفض؛ وذلك لأنني أرفض تعديل الواقع والحقائق، فأنا رجل صحفي، لستُ روائيًا، فأنا أنشر حقائق وجرائم تحدث بالفعل، وليست قصصًا بوليسية أسعى بها وراء المشاهدات. فأنا أُجيد توصيل المعلومة الحقيقية بالكتابة أفضل بكثير من تعديلها وتغيير أحداثها لتتناسب مع عرضها على شاشات التلفزيون.

ورغم ذلك، قبلت الدعوة لأني كائن فضولي اجتماعي، أحب دائمًا أن أحافظ على بعض العلاقات التي تساعدني في وظيفتي، فكان من الصعب التهرب والتنصل من الأمر، فلن أستطيع الرفض.

لذلك، وفي اليوم المحدد، قمت بارتداء البدلة الكحلية التي دائمًا ما تجعلني أنيقًا وأبدو أصغر سنًا. فاختيار الملابس لتلك المناسبات هام للغاية، فأنا لا أعلم من المدعوين، ولكن في الأغلب هم صفوة المجتمع من رجال أعمال وأشخاص ذو شأن.

وتوجهت إلى الفيلا، وفور دخولي إلى المنطقة المتواجد بها الفيلا، لاحظت اختفاء شبكة المحمول الخاصة بي، ولكن لم أُعِر اهتمامًا كبيرًا لهذه الملاحظة، فكثير من الأماكن الساحلية قد تختفي بها الشبكة، فهذا أمر طبيعي.

ثم توجهت إلى الفيلا، وبمجرد دخولها لم أجدها مجرد فيلا، بل كانت قصرًا كبيرًا ذات واجهة فخمة تعكس فخامة الماضي ورهبة الحاضر، ويتمدد القصر على التلال العالية محاطًا بحدائق غناء، تتمايل فيها الأشجار بلطف مع نسمات البحر الباردة.

تُغطي واجهته الخارجية الرخام الأبيض النقي، وكانت البوابة الحديدية مزخرفة. وأثناء تأملي هذا الجمال الساحر، تفاجأت بصابر في استقبالي، ورحب بي قائلًا: أخيرًا وصلت، أنت آخر الحاضرين دائمًا يا كمال.

وفي الحقيقة، بمجرد الدخول، فوجئت بعدد المدعوين، فكنا عشرة أشخاص مدعوين فقط، بالإضافة إلى مديرة المنزل. كنت أعرف معظمهم؛ لأنهم نجوم مجتمع ولديهم شهرة كبيرة، وأنا أيضًا أقابل منهم الكثير بطبيعة عملي.

فهذا الذي يقف بكل تفاخر وبيده كأس من النبيذ هو المهندس المعروف حسن الصيرفي، والذي جمعتني به إحدى الصدف خلال بعض أصدقائنا

المشتركين. وعندما رآني تفاجأ كثيرًا من وجودي وتقدم نحوي، وقام بالترحيب بي كثيرًا قائلًا: فرصة سعيدة يا أستاذ كمال، صدفة غريبة أني قابلتك هنا، وأحب أُعبر لك عن إعجابي الشديد بكل أجزاء السلسلة، وأنتظر الجزء الجديد بفارغ الصبر.

قلت له بابتسامة خفيفة: شكرًا لك، سعيد جدًا بمقابلتك، وأسعدني كلامك كثيرًا.

وانتهيت من الكلام معه سريعًا، فبالرغم من أنه من أكبر الشخصيات المعروفة في مجال العقارات، إلا أنه شخص استغلالي، دائمًا ما يستغل ظروف الناس البسيطة لتحقيق المكاسب، فهو من النوع الذي دائمًا ما يبحث عن المال دون النظر إلى أي شيء آخر، ولا يمتلك أي من القيم والمبادئ كما أسمع، ذو المصالح يصفونه بها. فكل اهتمامه هو بناء العقارات بأبخس ثمن وتكلفة أقل، وبيعها بأعلى الأسعار، ليكون مكسبه بها أضعاف ما أنفقه في بنائها، دون الاهتمام بالجودة، مما جعل أغلب العقارات التي تولى بنائها أصبحت لا تصلح للسكن، أي قابلة للسقوط.

وبالفعل، قام الكثير من سكان هذه العقارات برفع قضايا على شركات العقارات التي يمتلكها هذا المهندس، صاحب الأخلاق، أملًا في استرداد حقوقهم التي ضاعت.

وبعد انتهاء حديثي الصغير مع المهندس حسن، تلفت بعيني لأجد سيدة جميلة تنظر لي مبتسمة، فوجدتها الممثلة الصاعدة نجلاء، والتي لا تمتلك أي موهبة قط سوى جمالها، فهي كتمثال الشمع الجميل، كل تعبيراتها ثابتة، هذا طبعًا من وجهة نظري.

فتوجهت لتحيتها، فليس من الأدب والذوق أن أترك امرأة جميلة ورقيقة مثلها تأتي إليّ لترحب بي، وقمت بالترحيب بها قائلًا: أهلًا بيكِ يا فنانة، سعيد جدًا بمقابلتك.

فقالت لي مبتسمة: أنا أسعد.

ولكن الغريب في الأمر، رغم ابتسامتها، أنها كان يبدو عليها أنها شاردة التفكير، كأنها في انتظار شيء ما. فأنا أجيد ملاحظة لغة الجسد بسبب دراستي لها.

وأثناء ذلك، وجدت صابر قادمًا نحوي ومعه أحد الأشخاص، وهو مدير أعماله حسين، وكان يبدو على حسين أنه متوتر للغاية، لدرجة أنه عندما قدمه لي صابر، لم يُعر اهتمامًا أبدًا بالتعرف بي، وقال: أهلًا بيك يا أستاذ في عجالة، ثم قال لصابر: أريدك في أمر هام جدًا.

ولكن صابر قال له: انتظر قليلًا حتى أعرف كل الموجودين بالأستاذ كمال.

وفوجئت برجل ينظر لنا باهتمام، وكان أكثر تركيزًا لحديث صابر وحسين، فبالرغم من أن ابتسامته التي كانت تعتلي وجهه أثناء تركيزه مع حديثنا، إلا

أنه كانت في عينيه نظرة غريبة تجاه صابر، أستطيع وصفها بأنها نظرة تحمل الاحتقار والكراهية.

وهو الحاج توفيق، رجل الأعمال المشهور وصاحب إحدى أشهر سلاسل مطاعم الأسماك، والمنتشر فروعها في جميع محافظات مصر وبعض دول الخليج، ورجل أعمال كبير وصاحب محطة فضائية كبيرة، وصديق صابر السابق ومنافسه في انتخابات مجلس النواب.

والذي انتابتني دهشة كبيرة للغاية من تواجده اليوم مع المدعوين، فعلى حد علمي، لم يعد صديقًا لصابر، بل المنافس الأشرس له في الانتخابات والصفقات الهامة.

وعندما لاحظ تركيزي ومراقبتي الشديدة لحوار صابر وحسين، قام بالقدوم نحوي من آخر الصالة، وقام بمصافحتي وتقبيلي بحرارة شديدة، وكأننا أخوان أو أصدقاء من الطفولة ولم نرَ بعضنا منذ سنوات، رغم أنها أول مرة أراه فيها، مما أصابني باندهاش أكبر.

وقال لي بحرارة: أهلًا يا أستاذ كمال، كم كنت أريد مقابلتك منذ زمن، فأنا متابع لمقالاتك وسلسلة كتبك ومعجب بها جدًا، وأسمع عنك الكثير.

ورغم علمي جيدًا بمدى صداقتك مع صابر، ولكن سأعرض عليك التوقيع معي، وعمل تعديل على بعض الجرائم المثيرة في كتابك وتحويلها لمسلسل تلفزيوني، وأنا أثق أنها ستحقق صدىً كبيرًا ونجاحًا عظيمًا، ولن نختلف على المقابل المادي.

فاعتذرت له بطريقة لطيفة، وقلت له: أنا لا أفكر في هذه الخطوة الآن، ولكن يشرفني طبعًا العمل مع شخص ناجح مثلك.

فأصر قائلًا: حين نعود إلى القاهرة، لا بد أن نتقابل ونتحدث حول هذا الموضوع، ونتناقش في طريقة العرض والمبلغ الذي ستحصل عليه، وصدقني لن نختلف.

ومع إصراره وإلحاحه، بالرغم من تأكده من رفضي، إلا أنني لم أستطع التخلص منه إلا بالاتفاق على موعد بعد يومين في مكتبه في التجمع الخامس.

ليتدخل صابر في النهاية وينقذني قائلًا: يا توفيق، اترك كمال على راحته.

وأكمل ضاحكًا: فأنا أعرفك جيدًا، ستظل تلح عليه حتى تجعله يعتزل الكتابة.

فضحك الموجودون من سخريته من توفيق، مما تسبب في شعور توفيق بالإحراج الشديد، والذي لم يضحك أو يبتسم، بل نظر إلى صابر نفس نظرة الحقد التي كنت أحدثكم عنها، ووجه لي كلامه قائلًا: لا تؤاخذني يا أستاذ كمال.

وعبر لي عن اعتذاره، وقام بالابتعاد.

فوجدت صابر يقترب مني قائلًا: تجاهل كلامه، ولا تستمع لما يقوله، فلو اتبعت نصائحه ستقلل من نفسك ومن سمعتك، فهو لا يهمه سوى النجاح المادي للعمل دون أي نجاح آخر مهما تطلب ذلك.

ودلوقتي بقى، حابب أعرفك على ملاكي الصغير، حبيبة، التي لا يزيد سنها عن السادسة عشر، وهي ابنتي الوحيدة.

صاحبة الوجه الطفولي الرقيق للغاية، والتي تعتليه البراءة والهدوء، فعندما تنظر إليها تشعر بالبراءة والنقاء اللذين اختفيا من عالمنا اليوم، فتوجهتُ لها بابتسامة قائلًا: أهلا بيكِ يا حبيبتي، أنتِ جميلة للغاية، ولكنكِ لستِ شبيهة بأبيكِ.

فقال صابر مبتسمًا: نسخة من والدتها رحمها الله.

فتوجهت حبيبة بالحديث لي قائلة: كنت أريد التعرف على حضرتك يا عمو، فأنا شديدة الإعجاب بسلسلة رواياتك، وكنت أرغب في مناقشتك في بعض الأمور بالروايات.

فقلت لها مبتسمًا: في أي وقت تُريدين مناقشتي سأكون مرحبًا جدًا يا حبيبتي.

فقال صابر: هي يا كمال تحب أن تُصبح طبيبة حتى تُعالج جميع الفقراء مجانًا، فهي عاطفية للغاية مثل أمها رحمها الله عليها، فهي تمتلك قلبًا كبيرًا.

فقلت لها مبتسمًا: أتمنى أن تُحققي جميع أحلامك وتُصبحي من أكبر الأطباء الناجحين.

وأثناء حديثي الشيق مع الجميلة حبيبة، لفت نظري رجل رزين في العقد الخامس من عمره، طويل القامة، يرتدي بدلة سوداء كلاسيكية المظهر، يبدو على وجهه ملامح الهدوء على عكس الكثير من الحاضرين.

ووجدت صابر يتوجه بي نحوه ويقول: اسمح لي أن أُعرفك على الدكتور عادل، وهو جراح القلب المشهور وصديق عمري.

قلت له: طبعًا، ومن لا يعرف الطبيب الشهير صاحب السُمعة الطيبة، فأنا دائمًا أسمع عنه وعن نجاحاته في مجال القلب، ولكن لم أنل شرف مقابلته أبدًا.

وقمت بتحيته بترحاب شديد وابتسامة تعلوها الفخر، قائلًا: أنا أتابع جميع عملياتك الجراحية الناجحة منذ أن كنتُ في الخارج، ودائمًا ما أفتخر أنك مصري مثلي أمام أصدقائي الأجانب.

فابتسم لي قائلًا: يسعدني كلامك يا أستاذ عادل، أنا من أشد المعجبين بكتاباتك وخبراتك في علم الجريمة، ومساهمتك في حل جرائم عديدة.

فابتسمت له قائلًا: هذا كلام أعتز به كثيرًا من عالم في الطب مثلك يا دكتور.

ثم تقدم صابر نحونا واستأذن من الدكتور عادل، واصطحبني ليُعرفني على باقي الحضور، ومن ضمنهم المذيع المعروف ونجم القناة الفضائية الخاصة بصابر، ومدير الحملة الانتخابية الخاصة به، مهاب سعيد، الذي بمجرد ما

وجدنا قادمين نحوه جاء لتحيتي، وقال لي بنبرة غرور: أهلًا بيك أستاذ كمال، أنا متابع جيد لمقالاتك.

فقال لي صابر مقاطعًا كلامه: أكيد تعرفه يا كمال.

قلت له: أكيد، فالأستاذ مهاب من أشهر المذيعين ومقدمي البرامج في مصر.

فابتسم مهاب قائلًا: وقريبًا إن شاء الله تكون ضيفي في البرنامج الخاص بي، ولن نختلف على أجر الحلقة، فبرنامجي دائمًا يحقق أعلى المشاهدات، وضيوفي دائمًا من الصفوة، سواء علماء أو رجال أعمال أو مفكرين وكتاب عظام مثلك، وإذا كان وقتك يسمح بذلك.

قلت له: يُشرفني ذلك.

ليقاطعنا صابر قائلًا له: لا تتركه يا مهاب يفلت من يدك، لا بد أن تُقنعه، وأن تكون مشرفًا على تحويل سلسلة مؤلفاته لحلقات أسبوعية، ويكون لنا السبق في ذلك.

فيرد: لا تقلق يا أستاذ صابر، واعتبر الموضوع انتهى.

وأثناء هذا الحديث بينهم، كان يسيطر عليَّ شعور الذبيحة التي يتسابقون على خطف أفضل وأكبر قطعة بها، فأنا كنت على يقين بأن حديثهم ومحاولاتهم السيطرة عليَّ لا يرجع إلى نجاحاتي أو خبراتي ومهاراتي في علم الجريمة، وإنما المسيطر هنا هو التنافس بينهم وبين توفيق، فهم دائمًا ما يحاولون الانتصار على بعض في أي شيء، حتى لو كنت أنا هذا الشيء.

والمعروف عن مهاب أنه مذيع مادي للغاية، وأنه يتنقل بين المحطات الفضائية بسرعة تنقل القرد بين الشجر، فمن يدفع أكثر يذهب للعمل معه، حتى تعاقده مع قناة صابر الفضائية فاستمر بها منذ أكثر من أربع سنوات، وهذا غريب للغاية، فقد كان من الصعب أن يستمر في العمل في قناة واحدة أكثر من سنة، ولكن صابر واضح أنه يمتاز بقدرة عالية على التعاقد والإقناع ودفع المبالغ الكبيرة للاحتفاظ به كل تلك المدة.

واستأذنت من صابر ومهاب وقلت لهم: سأذهب لأرتاح قليلًا على أحد المقاعد، ولكن في الحقيقة سبب استئذاني هو رغبتي في الخروج من شعور السجن والسيطرة الذي شعرت به أثناء حديثي معهم خلال هذه الخمس دقائق. وأثناء ذهابي لاحظت شخصًا يرتدي ملابس بسيطة جدًا وتعلو ملامحه الهدوء والسكينة، ولم يلاحظه أو ينتبه له أحد من الموجودين، ووجدته يتقدم نحوي ويصافحني ويعرفني بنفسه قائلًا: أهلًا يا أستاذ كمال، أنا أنور أخو صابر الأصغر، مدرس أول لغة عربية ثانوي، وأسمع عنك الكثير، ومعجب بكل مقالاتك وسلسلة كتبك الهائلة، وإذا كنت تريد مصحح لغة عربية في الجريدة أو لسلسلة مؤلفاتك، فيشرفني ويسعدني أن أقوم بهذا العمل معك. قلت له مبتسمًا: شكرًا لك، وسأتواصل معك قريبًا إن شاء الله. وقمت بتسجيل رقم هاتفه، رغم أنني أعلم جيدًا أنني لن أتواصل معه، نظرًا لوجود الكثير من مصححي اللغة الذين يعملون

معي في الجريدة وفي سلسلة كتبي، وليس من العدل الاستغناء عنهم دون سبب لإعطاء شخص آخر نفس الفرصة لمجرد أنه أخ صديق لي.

وأثناء ذلك، كان صابر يقوم بالاستعراض والتباهي على ضيوفه بالفيلا الجديدة التي اشتراها، والتي كانت مكونة من طابقين وحمام سباحة وحديقة بها غرفة الحارس. الطابق الأول عبارة عن ريسبشن كبير للضيوف ومطبخ في آخر الريسبشن ملحق به غرفة صغيرة لمديرة المنزل، أما الطابق العلوي فكان عبارة عن أكثر من 11 غرفة صغيرة، ملحق بكل غرفة حمام خاص بها، بالإضافة إلى غرفة مكتب ملحق بها حمام أيضًا. ومع تناسق الألوان والدقة في تفاصيل كل غرفة، تشعر كأنك في فندق وليس فيلا أو قصر.

وأثناء استعراض صابر وتفاخره، توجه حسين لصابر وطلب منه أن يستأذن من ضيوفه بضع دقائق ويتوجه معه لغرفة المكتب للتحدث في أمر هام، فطلب منه صابر الانتظار قليلًا، فرفض حسين وأصر على صابر أن يتحدث معه الآن، فالأمر لا يستدعي التأخير. ومع شدة إصرار حسين، استجاب صابر واستأذن من الضيوف وتوجه معه إلى المكتب، وترك لنا حرية التجول في الفيلا. ولكن بعد دقائق تفاجأنا بسماع ضجيج وصوت مشاجرة بين صابر وحسين، مما أثار فضول عدد من الموجودين، وعلى رأسهم أنا، فقمنا

بالصعود إلى الطابق الثاني لمعرفة ما يحدث، وتفاجأنا بصابر يطلق الكثير من السباب على حسين ويتهمه بالخيانة، وأنه قام ببيع الصفقة الأخيرة لأحد منافسيه، وهدده بأنه سيتهمه بالسرقة ويجعله يقضي الباقي من عمره في السجن. ولم يكن على حسين إلا أن يدافع عن نفسه وينكر الاتهامات التي يُلقيها عليه صابر، ويقسم له أنه لم يفعل ذلك، وأنه طوال فترة عمله معه والتي تتجاوز الخامسة عشر عامًا، لم يفكر يومًا في خيانته.

وأثناء ذلك لاحظت ترقب توفيق لحديثهم، وتعلو نظراته الانتصار والشماتة، كأنه كان على علم بما سيحدث مسبقًا، وجاء ليملأ عينيه بما يراه. وسرعان ما اشتد الحوار بين صابر وحسين، وتفاجأنا بصابر يحاول التعدي بالضرب على حسين، فتدخل توفيق محاولًا فض الصراع بين حسين وصابر، وحاول تهدئة صابر قائلًا: يا صابر، هذه ليست أول صفقة تخسرها، ولن تكون الأخيرة، فأنت تاجر وتعرف جيدًا هذه الأمور، فالتجارة هي مكسب وخسارة، وهذه حياة التجار، فأنت لست صغيرًا لأعلمك هذا الكلام. فنظر له صابر بحدة وقال: اسكت أنت يا توفيق، لو أنك من خسرت تلك الصفقة بسبب هذا الحقير، كنت ستطلق عليه النار دون تفكير. فشعرت بغضب توفيق من حدة صابر معه، فتدخلت أنا والحاضرون سريعًا حتى لا تكبر المشكلة أكثر، لمحاولة تهدئة صابر وإبعاد حسين عنه.

فحاول حسين التحدث مع صابر، ولكن صابر ظل غاضبًا، فتحدثت مع حسين وطلبت منه الرحيل الآن حتى يهدأ صابر.

ولكن أثناء حديثنا تفاجأنا بعاصفة رعدية وأمطار واضطراب كبير في الجو، مما أدى إلى صعوبة في رحيل حسين في الوقت الحالي. ولكن صابر كان مصرا على رحيل حسين، قائلًا: ارحل من هنا فورًا، فنهايتك قريبة جدًا، فلو لم يقتلك الطقس، سأقتلك بيدي، ولو كنت مكانك كنت تمنيت أن يقتلني الطقس، لأنه سيكون أرحم مني عليك. فلم يجد حسين أملًا في الانتظار أمام إصرار وحدة صابر، فانصرف ورحل. وظل الموجودون في حالة من الصمت لأكثر من نصف ساعة من التوتر والقلق، حتى قمت بالتحدث مع صابر، وحاولت تهدئته، قائلًا: هون على نفسك يا صابر، طالما أنك وابنتك لم يُصبكم شيء، فكل شيء قابل للتعويض، ولكن كان يبدو على صابر عدم الاهتمام بما أقوله، وكأني أتحدث إلى نفسي، فتركته وذهبت أجلس على الأريكة.

ولفت نظري أن باقي الموجودين كانوا يغلب عليهم السكون غير الطبيعي، كأنهم في انتظار شيء ما، ولم يتحدثوا مع صابر بكلمة، حتى توفيق ظل ساكنًا، وكأنه يفكر في شيء ما. ثم وجدت صابر يتجه نحوي ويقول: أشكرك على كلامك وعلى تهدئتك لي. ثم قام مسرعًا وطلب الاستئذان من

الحاضرين، وذهب إلى مكتبه لمحاولة إصلاح الكارثة التي سببها حسين، والاطلاع على بعض الأوراق الخاصة. وصعد إلى أعلى، وظل السكون والملل يخيم على الجميع، ومر أكثر من نصف ساعة

ولا أحد يتحدث مع الآخر كأننا في عزاء، فجميع الموجودين لا يعرفون بعضهم سوى أسماء فقط، والرابط بينهم جميعًا هو صابر. ليقطع أنور السكوت ويقول:

هذه نتيجة الاعتماد على الغرباء، فأنا كنت الأولى بمكان حسين، وعلى الأقل كنت سأحافظ على ماله ومال ابنته لأنه دمي ولحمي وأخاف عليه أكثر من نفسي.

فنظرت إليه باستغراب، فكيف يُظهر نيته وطمعه في مال أخيه مباشرة هكذا؟ فشعرت للحظة بأنه سعيد بما حدث لأخيه، خاصة مع نظرة الشماتة التي كانت تملأ عينيه أثناء حديثه بهذا الكلام.

أما نجلاء، فنظرت له باحتقار واستمرت في صمتها، ولكن كان يبدو عليها شيء من الغرابة لا أستطيع تفسيره الآن.

أما توفيق، فكان يبتسم ابتسامة خفيفة كأنه كان يعرف كل هذا وسعيد به، وقال: أنا لا أعرف لماذا صابر يُكبر الموضوع!

ليقول ضاحكًا: شكله كبر وعجز وبقى ياخد كل حاجة على أعصابه. فنحن مررنا بالكثير وخسرنا صفقات كثيرة من قبل ولم يحدث أي شيء، فلماذا يُكبر الموضوع؟

وقال عادل: لقد أصبح صابر عصبيا للغاية، لم يكن هكذا عندما كنا أصدقاء منذ زمن.

فقاطعه مهاب قائلًا: يا جماعة لا داعي للزعل، فصابر بيه رجل مسؤولياته كبيرة، وله اسم في السوق، ولذلك يخاف دائمًا على سمعته واسمه من خسارة صفقة، وعلى ما يبدو أنها صفقة هامة للغاية، فلا بد أن نلتمس له العذر.

ليقاطعه توفيق: وأنا أيضًا تاجر كبير ورجل أعمال كبير وخسرت صفقات كبيرة ولا أفعل مثله.

وأثناء حديثنا، سمعنا صوت موسيقى عالية، تبدو أنها للمطربة الجميلة فيروز وأغنيتها المشهورة "سألتك حبيبي".

وتفاجأنا بنزول صابر على الدرج، تعلو ملامحه الهدوء، وقال مبتسمًا:

أريد أن أقدم اعتذاري لجميع الموجودين على ما حدث، وأرجوكم أن تنسوا ما حدث وتعتبروه لم يكن.

وأكمل قائلًا: فأنا لم أدعُكم إلى هنا لأتسبب في الاستياء لكم، فأرجوكم لننس ما حدث ونستمتع بتلك الأمسية الرائعة التي نقضيها معًا.

وطلب من مديرة المنزل تقديم العشاء للحاضرين.

وبالفعل، قاموا بتقديم سفرة فاخرة من العشاء، فلم يتركوا صنفًا إلا ووضعوه على السفرة، وجلس الجميع لتناول العشاء، وكان يغلب عليهم السكون، ما عدا توفيق الذي كان دائم التحدث، فهو كالمذياع الذي لا ينقطع أبدًا، وظل يتكلم عن إنجازاته وآخر مشاريعه، ولكن صابر لم يرد عليه، ولم يبدُ عليه أنه ينصت له من الأساس.

وبعد تناول العشاء، قام صابر بدعوتنا لتناول المشروبات وبعض الحلويات أمام حمام السباحة، وبدأ بالتحدث معنا قائلًا:

أنا عندما أحصل على عضوية مجلس النواب، سأقوم بتقديم اقتراحات ستنقل اقتصاد مصر نقلة اقتصادية هامة، سأقدم بعض المشاريع التي تجعل مصر واحدة من أكبر دول الاقتصاد في العالم.

ووجه كلامه لتوفيق: وأنت، ما رأيك يا توفيق، بما أنك ستترشح أمامي في الانتخابات؟ فدائمًا كنا منافسين في الصفقات والعمل، والآن منافسين في الانتخابات!

ليرد توفيق ضاحكًا: بالطبع سنظل متنافسين حتى أن يموت أحدنا، فالعالم لا يحتملنا نحن الاثنين يا صديقي.

فاستغرب بعض الحاضرين من طريقة توفيق، ولكنني شعرت بأنه يهدده بالقتل أو يتمنى موته، ولكن بطريقة غير مباشرة تظهر أمام الجميع أنها دعابة.

ثم ابتسم صابر ونظر إلى توفيق قائلًا: هل تتمنى الموت لصديق عمرك وشريكك السابق من أجل العمل يا توفيق؟
فرد توفيق مسرعًا: لا يا صديقي، إنها مزحة. فنحن أصدقاء عمر كبير، والتنافس الذي بيننا لا يفسد الود والعِشرة. فبالرغم من أنك ترشحت أمامي، فأنا لم أَلُمك، بل وقبلت دعوتك لي عندما أصريت، رغم مشاغلي الكثيرة التي تعلمها.
ليرد صابر: أعلم يا صديقي، وأشكرك على قبول دعوتي.

ولكن بيني وبينكم، أنا لم أشعر بأنها كانت مجرد دعابة أو مزحة من توفيق، فكلامه وطريقة حديثه لم تطمئنني بالمرة.
ثم أكمل صابر حديثه عن أحوال البلد وبعض القضايا السياسية، واستمرت السهرة والحديث، وكل منا يُبدي رأيه فيما يحدث من قضايا هامة يطرحها للنقاش.

ولكن كلما نظرت إلى نجلاء، أشعر بالغرابة وعدم الارتياح، فهي لم تتفاعل أبدًا مع الحاضرين، فكلما نظرت إليها أجد التوتر والقلق والشرود في عينيها، وعمومًا أنا لا أشعر بالارتياح لتلك الليلة من الأساس.
أما بالنسبة لأنور، فكان كلما حاول أن يتكلم أو يُبدي رأيه في موضوع، يقاطعه صابر كأنه غير موجود، وكأنه كان يتعمد إحراجه، فيشعر أنور بالإحراج ويلتزم الصمت، وفي عينيه كسرة من أخيه الأكبر الذي كان يجب أن يكون في مقام والده، لا أن يكسره ويذله أمام الحاضرين.

أما باقي الحاضرين، فكانوا يتحدثون بشكل طبيعي، حتى حانت الساعة العاشرة، فطلب صابر من مديرة منزله باصطحابنا إلى الغرف الخاصة بكل واحد منا، وتوجه هو إلى غرفة مكتبه، وتوجه كل واحد منا إلى غرفته.

وحين دخلت غرفتي، قمت بتغيير ملابسي وجلست أفكر في أحداث اليوم الغريبة التي حدثت، فأنا دائم التفكير قبل النوم، وقمت باستخراج القلم والمفكرة الخاصة بي وتدوين كل ما حدث خلال هذا اليوم، وكنت حريصًا على ألا أغفل عن أي شيء حدث اليوم، وذلك على غير عادتي، فأنا يتملكني إحساس غريب بأن هذه الملاحظات ستفيدني في شيء ما، وأنني سأرجع إليها، ولكن لا أعلم ما هو هذا الشيء أو لماذا سأرجع لهذه المعلومات.

فأنا دائم التعود على تدوين مذكراتي، فهي بالنسبة لي وسيلة لإبقاء أفكاري ومشاعري حية حتى بعد وفاتي، كما يمكنني أيضًا العودة إلى الوراء وملاحظة تطور أفكاري ومشاعري وتقويم نفسي ومراقبة تغير الأحوال والتطورات. فبعودتي إلى الوراء، أتمكن من تحديد الأمور التي تقف عائقًا أمامي، أو التي لا تزال مزعجة بالنسبة إليَّ، مما يؤكد لي ضرورة التخلص منها.

وبعدها بساعتين تقريبًا، كنت انتهيت من تدوين كل ما حدث اليوم، وأرهق تفكيري وتعبت يدي من كتابة ما حدث طول اليوم وتسجيل انطباعي عن الحاضرين ومشاعري الغريبة والمختلفة اتجاههم.
وفجأة، وأثناء ذهابي إلى السرير للنوم، انقطع التيار الكهربائي وحل الظلام الدامس بالغرفة، فتوجهت إلى الخارج، فوجدت الجميع بالخارج، وكان الظلام يُخيم على القصر بأكمله.
فاستعنا بكشافات الهواتف المحمولة، وأثناء تحركنا تجاه الريسيبشن الخاص بالقصر، تفاجأنا بصوت خبط شديد على الباب الرئيسي للقصر.

فتوجهت مديرة المنزل مسرعة تجاه الباب، وبصحبتها كشاف الطوارئ، وقامت بفتح الباب، فتفاجأنا بحسين، هو الذي يقوم بالطرق.

فدخل حسين القصر قائلًا: أنا لم أستطع السفر بسبب الطقس والعاصفة الرملية، وبسبب ضعف نظري أصابني الخوف من السفر في هذه الأجواء، خوفًا من حوادث الطريق، مما اضطرني للرجوع.

وأيضًا لم يُطاوعني السفر وصابر غاضب مني هكذا، فكنت أنوي الجلوس في السيارة حتى الصباح، ولكن انقطاع الكهرباء جعلني أشعر بالقلق على الموجودين داخل القصر، خصوصًا مع تعطل نظام كاميرات المراقبة اليوم بشكل مفاجئ، وكنت أحاول إصلاحه ولكن لم أستطع.

فقلت لنفسي أن أدخل وأعرض المساعدة، خصوصًا أن القصر معزول، وحارس القصر لديه حالة وفاة وفي إجازة، ومن السهل دخول أي لص لاستغلال تلك الظروف، خاصة مع انقطاع الكهرباء، وعدم وجود شبكة اتصال، وابتعاد مركز الشرطة عن المكان.

وأكمل قائلًا:

أرجو من الحاضرين الجلوس في أماكن قريبة من بعضهم حتى أستطيع أن أحافظ على أمان وحماية الجميع.

فنظرت لحسين في حيرة ما بين الشك والعطف، فهل أشك أنه من قام بقطع الكهرباء عن قصد وعمد حتى يستغل تلك الظروف ويدخل القصر الذي طُرد منه من فترة ليست بقليلة لإيجاد فرصة للتحدث مع صابر مرة أخرى؟

أم هو فعلًا ليس له علاقة بقطع الكهرباء ودخل فقط للحفاظ على سلامة وأمان الموجودين؟
وعمومًا، سواء له يد أو لا، ففي النهاية هو بالفعل استغل الظروف وها هو الآن.

ومما أكد لي أنني محق بالشعور بالحيرة تجاهه، هو أنني وجدته يقترب نحوي وتعلو ملامحه نظرة رجاء واستعطاف لم أصدقها، قائلًا لي: أستاذ كمال، أنت معروف بأسلوبك اللبق، حاول أن تجعله يسمع مني الأسباب، وأن يحاول أن يفهم أنني لم أفكر بخيانته أبدًا، وأن ما حدث وخسارته للصفقة فعلًا ليس لي دخل به، سواء من قريب أو بعيد.
وأثناء حديثه، أجهش بالبكاء، والمفاجأة أنني لم أصدقه أيضًا، فقلت له: اهدأ يا أستاذ حسين، وانتظر قليلًا حتى يأتي صابر من الأعلى، وأعدك أن أتحدث معه أنا والموجودين.
فقال حسين: أملي فيك كبير يا أستاذ كمال.
واستأذن وذهب إلى الحمام الخاص بالعاملين بجوار حديقة المنزل.

وفي الحقيقة، ما أثار استغرابي أكثر هو عدم نزول صابر حتى الآن، فكيف لم يشعر بانقطاع التيار لهذا الوقت؟ أو يسمع خبط الباب المزعج الذي كان يصدر من حسين أثناء رغبته في دخول القصر؟

وقطع تفكيري المهندس حسن قائلًا:
لا بد من معرفة سبب انقطاع الكهرباء ومحاولة إصلاحه إذا كان بسيطًا، فأنا بحكم مهنتي أعلم إلى حد كبير في الكهرباء، ولا بد أن نتحرك سريعًا وإلا سنظل في هذا الظلام فترة كبيرة.
وطلب من مديرة المنزل أن تأتي معه لتريه مكان لوحة الكهرباء، والتي كانت بالغرفة الخلفية بجوار غرفة الحارس، وطلب مني حسن أنا والأستاذ مهاب والحاج توفيق أن نتوجه معه إلى لوحة الكهرباء لمساعدته.
ليرد توفيق: اعذرني يا باشمهندس حسن، فأنا أخاف أن أمشي في هذا الظلام فاصطدم بأي شيء أو أسقط لعدم رؤيتي.
ليرد حسن ويقول له في غضب: لا يهم.

فتوجهت أنا وحسن ومهاب ومديرة المنزل إلى مكان لوحة الكهرباء، وتفاجأنا بسكينة الكهرباء منزلة إلى أسفل، فقال حسن: على الأغلب ماس كهرباء، وأكمل قائلًا: سنتأكد الآن بعد رفع السكينة إذا كان ماسًا أم غير ذلك. فقام حسن برفع سكينة الكهرباء فأضاءت الأنوار، فهذه بفعل فاعل. وهنا تأكد شكي من أن هذه الليلة لن تمر مرور الكرام، فهل هذا من فعل حسين ليستغل الظروف للتقرب من صابر؟ أم شخص آخر لا أستطيع تحديده أو سبب قيامه بهذا الأمر؟ فالآن ليس أمامي غير حسين حتى يستطيع أن يثبت لي العكس.

وقمنا بالرجوع إلى القصر في حيرة واستغراب، ووجدنا الكهرباء والإنارة عادت كما كانت، فقال حسن: إذن هي لم تكن ماسًا كهربائيًا، في الغالب أحد قام بإنزال سكينة الكهرباء متعمدًا؛ لأنها لو كانت بسبب ماس كانت ستنزل السكينة أوتوماتيك مرة أخرى. فاستغرب الحاضرون من هذا الفعل، وكان الاستغراب أكبر لديهم لعدم ظهور صابر حتى الآن، فقطع أنور الاستغراب لدينا قائلًا: أين أخي صابر؟ ولماذا لم يظهر أو يستيقظ مع كل هذا الضجيج؟ هل نومه ثقيل لهذه الدرجة بعد كل هذا الهرج والمرج؟

فطلب توفيق من حبيبة ابنة صابر أن تتجه إلى غرفة أبيها لتطمئن عليه، فليس من الطبيعي أبدًا حدوث كل هذا وهو نائم. فتوجهت حبيبة بالفعل تجاه الطابق الثاني من القصر ذاهبة إلى غرفة أبيها، وبعد مرور دقائق من ذهابها إلى الغرفة وجدناها تنزل على سلم القصر وتعلو ملامحها القلق قائلة: لم أجد والدي، رغم أنني بحثت عنه في جميع أركان القصر ولم أجده. فرد أنور: إحنا هنفضل ساكتين كده؟ لا بد من البحث عنه في القصر جيدًا، فمن الصعب أن يخرج من القصر دون أن يراه أحد في مثل هذا الجو، فهو بالتأكيد في مكان ما هنا.

فقاطعته نجلاء قائلة: إنه من بعد مشاجرته مع حسين وهو يبدو عليه التوتر والقلق، وممكن أن يكون ترك الحاضرين وركب سيارته وذهب إلى

القاهرة. فرد حسين قائلًا: أنا كنت جالسًا في سيارتي لوقت طويل أمام باب القصر ولم أرَ أحدًا يدخل أو يخرج من القصر. فقرر الجميع البحث عن صابر في جميع أنحاء القصر متعللين بأنه ربما يكون شعر بالتعب أو الإغماء في مكان ما. أما أنا فكان يمتلكني شعور أكبر من أنه مجرد تعب أو إغماء.

وأثناء البحث عن صابر في أنحاء القصر اقترح البعض أن نرجع إلى غرفة المكتب والتي كانت آخر مكان قال إنه سيذهب إليه، ووجدنا باب الحمام مغلقًا، فقمت بالطرق على الباب عدة مرات، ولكن لم يرد أحد ولم أسمع صوت أحد بالداخل. فاقترح أنور كسر الباب قائلًا: إنه من الممكن أنه أصابه الإغماء بالداخل. وبالفعل قام أنور بكسر الباب، وصدمنا جميعًا من هول ما رأيناه، فوجدنا صابر ملقى على الأرض بجوار البانيو، وهو غارق في دمائه، فاتجهنا سريعًا نحوه وحاولنا إسعافه، وقمت أنا بتفحص نبضه، ولكن المفاجأة بأنه كان ميتًا، ومن الواضح أنه اختل توازنه بالمرحاض ووقع فاصطدمت رأسه بالبانيو الخاص بالحمام.

وكان الجميع في حالة من الصدمة والذهول، وكانت الحالة أصعب لدى النساء. فنجلاء أصابها الإغماء بمجرد رؤيتها لهذا المنظر، أما ابنته الصغيرة حبيبة فظلت تصرخ وتبكي وكأن روحها ستخرج منها لتحصل روح أبيها،

فهو لم يكن فقط أباها، بل كان يمثل لها عائلتها جميعًا، فهي ليس لها أحد سواه، ولم يستطع أحد السيطرة على حالتها، فجميعنا كنا في حالة من الخوف والذهول.

وفي تلك الحال التي كنا بها جميعًا، كان الدكتور عادل يحاول جاهدًا بتدليك قلب صابر، محاولة منه في إنعاش القلب مرة أخرى، ولكن كان ذلك دون جدوى، وقاطع الدكتور عادل حالة الصمت التي كانت تسود على الجميع قائلًا بنبرة حزينة: البقاء لله، صابر توفي. وقبل أن ينهي كلامه، سقطت حبيبة على الأرض فور سماعها خبر وفاة أبيها، فأسرع عمها والدكتور عادل بحملها ونقلها إلى إحدى الغرف، وتمكن الدكتور عادل من إفاقتها وتهدئتها، وطلب من مديرة المنزل عدم ترك حبيبة بمفردها نظرًا لسوء حالتها النفسية، ثم تركهم داخل الغرفة وخرج منها عائدًا إلى الغرفة التي بها جثة صابر.

وعند رجوع الدكتور عادل تساءلت عن حالة حبيبة، فقام بطمأنتي عليها وأن حالتها مستقرة حتى الآن. فأكملت كلامي مسرعة في حالة من الشك: ما سبب الوفاة يا دكتور عادل؟ هل تراه طبيعيًا؟ فرد قائلًا: بشكل مبدئي سبب الوفاة حدث نتيجة ارتطامه بحوض البانيو، فلا يوجد أي أثر لشجار أو مقاومة، وهو ما يبعد افتراض وجود شبهة جنائية، أما إذا أراد أهله

التأكد من أن الوفاة طبيعية، فعلينا الانتظار حتى نقله إلى المشرحة لتشريح الجثة.

وهنا انتهى كلام الدكتور عادل، ولكن لم ينتهِ الشك الذي بداخلي، وكما قالت أجاثا كريستي: في الواقع، إن الناس جميعًا يصدقون عادةً معظم ما يقال لهم في هذا العالم الشرير، أما أنا فلا أصدق إلا ما يثبت لي بالدليل الحاسم. فطلبت من الجميع النزول إلى الأسفل والانتظار بالريسبشن الخاص بالقصر، فنظر لي مهاب وتوفيق وأنور في آنٍ واحد نظرة تعجب واستغراب، فقال أنور: لماذا أترك أخي بمفرده وأنتظر في الأسفل؟ ماذا ستفعلون بأخي؟ فقلت له: ماذا سنفعل به؟ نحن سنفحص الجثة من الخارج فقط للتأكد من أن الوفاة طبيعية.

فقاطعنا مهاب قائلًا: لماذا كل هذا؟ فهو كما هو واضح أمامنا جميعًا، أنه ارتطم بالحوض وغرق في دمائه حتى الموت. فرد توفيق: معك حق يا مهاب. فأكملت كلامي في محاولة مني لإقناعهم بالنزول قائلة: أنا من خلال خبرتي في الجريمة لا أصدق بسهولة ما أراه أمامي، ولا بد من التأكد بنفسي أن الوفاة طبيعية. فرد أنور قائلًا: لن أترك أخي بمفرده معكم، ولا بد أن أحضر كل شيء. ومع إصراره الكبير اضطررت للموافقة على طلبه، وقلت له: حسنًا، لا يوجد مانع، ولكن أرجو منك عدم إصدار أي صوت أو فعل أي

شيء يؤثر على تركيزي أنا والدكتور عادل. قال: حاضر، لن أفعل أو أنطق بأي شيء يا أستاذ كمال.

وبالفعل بدأ الجميع بالتحرك اتجاه الأسفل وطلبتُ من الدكتور عادل فحص الجثة مرة أخرى، فقال: ماذا تريد يا أستاذ كمال ولماذا طلبتَ من الجميع الخروج؟ فقلتُ له: ألم تشعر أنه يوجد شيء مريب في الوفاة؟ فالرجل كان بكامل صحته أمامنا فجأة وبدون مقدمات يموت في صمت دون أن يسمعه أو يشعر به أحدٌ منا. ليقاطعنا أنور: ماذا تريد أن تقول؟ هل تلمح بأنه تم قتل أخي؟ إذن مَن الذي قتله؟ هل من الحاضرين من الأسفل أم مَن؟ أرجوك صرحني. قلتُ له: صبرًا يا أستاذ أنور، سنتأكد من شكوكي في البداية وبعدها نرى ماذا سنفعل.

فقمتُ بالنداء على مديرة المنزل وطلبتُ منها إحضار قفازات من قفازات المطبخ الشفافة حتى لا نمحو البصمات من المكان، وبالفعل قامت بإحضارهم وقمتُ بارتدائها أنا والدكتور عادل، وظل أنور ينظر إلينا بترقب وقلق. وبدأ الدكتور عادل بفحص الجثة، ولم يجد جديدًا عدا الجرح الموجود بالرأس نتيجة الارتطام وبعض الاحمرار والثقوب الصغيرة تجاه الصدر، ولكن لم يُعِر لها اهتمامًا كبيرًا، وأكد لي أن سبب الوفاة هو الارتطام بالحوض وأنه لم يجد جديدًا.

وبدأتُ أنا بفحص مكان الجريمة، ولكن لم أكن أعرف عن ماذا سأبحث، وكان الدكتور عادل ينظر لي في حالة من الاستغراب، لكني لم أُعِر له اهتمامًا واستمررتُ في البحث عن الشيء المجهول، حتى وجدتُ فوارغ لرصاصتين، ولكن لم يكن يشبه الفوارغ المعروفة لرصاصات المسدس المتعارف عليها، بل كانت مختلفة عنها تمامًا، حيث كانت الفوارغ متصلة ببعضها عن طريق سلك رفيع للغاية. فهذا النوع من الفوارغ أعرفه كثيرًا، فهي فوارغ لمسدس الصاعق الكهربائي. ولكن من الغريب أنني، وخلال فترتي التي قضيتها في مصر، لم أشاهد هذا النوع من المسدس الصاعق أبدًا؛ فأنا أعرفه منذ أن كنتُ في أمريكا، فهو مشهور هناك، حيث كان ضباط الشرطة بأمريكا يستخدمون هذا المسدس لردع المجرمين ومحاولة السيطرة عليهم.

وعندها أسرعتُ إلى جثة صابر وبيدي فوارغ الرصاصات، وكشفتُ عن صدره، فوجدتُ الاحمرار والثقوب التي تحدث عنها الدكتور عادل ولم يُعِر لها اهتمامًا. فقلتُ بصوت مسموع لأنور والدكتور عادل: نعم، هذه هي الآثار الناتجة عن الصعق بهذا المسدس الكهربائي، وهذه هي الفوارغ الخاصة بطلقات هذا المسدس؛ إذن فنحن الآن أمام جريمة قتل وليس مجرد حادث. وأثناء حديثي هذا كان يغلب على أنور والدكتور عادل الاستغراب

والذهول وعدم فهم أي شيء مما يحدث، وقمتُ بترك الأدلة في مكانها ولم ألمسها، قائلًا لهم: هكذا تأكدنا أن صابر تم قتله ولم يكن قضاءً وقدرًا.

ليرد أنور: يعني أخويا اتقتل؟ أنا لن أترك القاتل يخرج من هنا حيا. فقاطعته قائلًا: اهدأ وامتلك أعصابك حتى أستطيع أن أكتشف القاتل وتَظهر الحقيقة.

وتحركنا تجاه الطابق الأرضي، فوجدتُ الجميع في أماكنهم وتعم عليهم حالة من الصمت. فنظرتُ لهم قائلًا: هناك خبر يجب عليكم معرفته، وهو أن صابر لم يمت قضاءً وقدرًا بل تم قتله. فشهق البعض بصوت يملؤه الخوف والرعب، فأكملتُ قائلًا: والقاتل هو أحد الموجودين هنا، أي إن القاتل معنا وموجود بيننا الآن. فظهر على بعضهم الرعب والخوف، والبعض الآخر التوتر والقلق في نفس اللحظة. وسألني بعضهم باستغراب: كيف تأكدتَ من أنه تم قتله؟ فأكملتُ قائلًا: عندما كنا مع الجثة أنا والدكتور عادل والأستاذ أنور، وجدتُ طلقات مسدس كهربائي فارغة، كما يوجد أيضًا احمرار في منطقة القلب والصدر.

والآن نحن لا نستطيع إبلاغ الشرطة فلا يوجد شبكة في الهاتف، وجميع الخطوط مقطوعة بسبب الأحوال الجوية، ولا يستطيع أحدٌ منا التوجه إلى قسم الشرطة في ظل ظروف الطقس هذه. والآن علينا الانتظار بجانب

بعض، ولا أريد من أحد أن يتحرك من مكانه دون معرفتي، لنستطيع حماية بعضنا البعض؛ فلا تنسوا فالقاتل ما زال بيننا.

فقاطعني البعض منهم قائلين في نفس واحد: حسين هو القاتل. ليقاطعهم أنور: نعم، حسين هو، مفيش غيره؛ هو الوحيد الذي اختفى بشكل مفاجئ قبل الجريمة ولم يظهر حتى الآن، وأيضًا هو يعرف القصر جيدًا، فهو من قام بشرائه ويعلم مداخل ومخارج القصر جيدًا وعلى علم بكل جزء فيه، وأيضًا له دافع قوي في قتل صابر؛ فهو تشاجر مع صابر أمام الجميع قبل الرحيل، وأيضًا صابر هدده بالقتل أمامنا، فذلك دافع قوي جدًا أن يسبق صابر ويقوم هو بقتله أولًا، كما يقول المثل: يتغدى به قبل أن يتعشى به. وعلى ما يبدو لي أن الجميع يزور القصر لأول مرة مثلي.

لنتفاجأ جميعًا بقدوم حسين قائلًا بنبرة بكاء وحزن: حرام عليك يا أستاذ أنور، أنا أقتل صابر بيه صاحب الفضل عليَّ؟ هو دائمًا ما يغضب مني ويسامحني، فأنا وهو هكذا أغلب الوقت. فصابر بيه كان دائمًا سريع الغضب، ولكن كان أيضًا سريع التسامح معي؛ فهو عشرة عمر لا تعلم أنت عنها شيء.

لتقاطعه نجلاء وتخرج عن صمتها قائلة: بالفعل نحن أصحابه جميعًا، كيف نُتهم بشيء كهذا؟ ليرد توفيق: نعم، هذا صديق عمري، وأنا خارج أي اتهام. ليقاطعه مهاب: ولماذا أنت فقط خارج أي اتهام؟ نحن جميعًا رجال مجتمع، بل بالعكس نحن خارج أي اتهام، أما أنت داخله بمفردك؛ فهو كان منافسك في عضوية البرلمان، ومن المعروف أن نسبة نجاحه كانت أفضل منك بكثير. ليرد توفيق في غضب: مَن أنت يا ولد لتتحدث معي هكذا؟ وهجم عليه توفيق في لحظة غضب كبيرة، منها لم أفهم سبب غضبه المبالغ فيه هكذا لدرجة أنه اشتبك معه بالأيدي. فتدخلتُ سريعًا وطلبتُ منهم الهدوء وقلتُ لهم: من فضلكم دعونا نفكر بصوت عالٍ.

ليقطع أنور كلامي ويقول: أنا طبعًا خارج أي اتهام؛ فهو أخي وفي مقام أبي، فلا يأتي في مخيلة أي أحد منكم مجرد التفكير بهذا الأمر، والآن أريد أن أعرف القاتل لأقوم بقتله بيدي دون أن يرف لي جفن أو يهتز لي شعرة؛ فهو ما كان يتبقى لي من عائلتي. وأجهش بالبكاء أثناء حديثه عن أخيه، بالرغم من أن أخيه صابر لم يكن بمثل هذه المشاعر مع أنور، بل كان صابر دائمًا ما ينتقد أخاه بطريقة لا تليق أمام الغرباء، وكان دائمًا التقليل منه. فهل دموع أنور هذه حقًا دموع حقيقية تحمل ألم فقدان الآن، أم أن هذه الدموع كل مهمتها هي إبعاد الشك والتهمة عنه؟

فنظرتُ لهم بعد أن أفقتُ من حديثي وتحليلي مع نفسي الذي لا أنتهي منه وقلتُ لهم: يا حضرات، هدوء من فضلكم، نحن لا نتهم أحدًا. ثم أكملتُ قائلًا: هل تثقون بي وبقدرتي على التمكن من معرفة القاتل؟ ليرد أنور مسرعًا في حزن: نعم يا أستاذ كمال، فأنا أثق بك؛ فأنت الوحيد الذي أدركتَ أنها جريمة قتل، ولولا ذلك كنا اعتقدنا أنها قضاء وقدر. أفعل ما تريد يا أستاذ كمال، لك جميع الحرية حتى يتحسن أحوال الجو ونتمكن من إبلاغ الشرطة. ليرد باقي الحاضرين عدا مهاب: نعم نثق بك وبقدرتك على اكتشاف القاتل يا أستاذ كمال.

أما حبيبة التي نزلت من الأعلى وكانت تسمع ما نقوله في صمت وحزن وبكاء لا يتوقف، فلم تُبدِ أي ردة فعل سواء كانت موافقة على أن أبدأ التحقيق أم لا، ولكن لم أُعِر اهتمامًا كبيرًا لعدم ردها نظرًا لحالتها النفسية السيئة؛ فهي ما زالت طفلة، وما يحدث أمامها فوق استيعابها وقدرتها. أما ما لفت انتباهي هو عدم رد مهاب بالموافقة أو الرفض، فتوجهتُ له بالكلام قائلًا: يا أستاذ مهاب، إذا كنت لا تثق في قدراتي فهذا شيء يرجع لك، وسأقوم بالانتظار معكم حتى تأتي الشرطة غدًا. فأسرع مهاب بالرد قائلًا: بالطبع أثق فيك يا أستاذ كمال، ولكني ما زلتُ مصدومًا وغير مصدق لما يحدث حولي. فقلتُ له: حسنًا، سأتولى التحقيق مع الجميع حتى يتضح لنا مَن القاتل.

ليرد حسن بنبرة بها قليلٌ من الحدة: يا أستاذ كمال، أنت جعلتنا جميعًا متهمين، فلماذا لا تكون أنت القاتل؟ فنحن لا نعرف عن علاقتك بصابر أي شيء إلا أنكم أصدقاء فقط، فكيف نتأكد من أنه لم يحدث شيء بينك أنت وصابر يعكر صفو هذه الصداقة؟ رد الدكتور عادل مسرعًا قبلي: الأستاذ كمال هو من اكتشف الجريمة يا حسن، فجميعكم شاهدتم ما حدث لصابر، وعندما طلبَ منكم النزول إلى الأسفل نزلتم بكل هدوء وجلستم كأن شيئًا لم يكن، وتقبلتم أن صابر توفي قضاءً وقدرًا، أما الوحيد الذي لم يهدأ حتى يتأكد من سبب الوفاة فهو الأستاذ كمال، كما أنه هو من لفت انتباهي إلى أن الإحمرار والثقوب الموجودة في منطقة الصدر لدى صابر سببها هو الصعق بالمسدس الكهربائي؛ فكيف بعد كل هذا تستطيع أن تفتح فمك بمثل هذا الكلام؟

وانتظرتُ حتى انتهى الدكتور عادل من كلامه، ووجهتُ حديثي لحسن قائلًا: ليطمئن قلبك، أنا سأحقق مع نفسي أمامكم جميعًا، ومن يريد منكم أن يطرح عليَّ أي سؤال أو يشك بي فأنا جاهز للإجابة عليه؛ فجميعنا متهمون حتى يثبت العكس.

ليردوا جميعًا: نحن واثقون بك يا أستاذ كمال. ثم نظرتْ لي حبيبة قائلة بنبرة من البكاء: أنا أثق بك يا عمو كمال، وأرجو منك أن تكتشف القاتل لينال عقابه، فوالدي كان يثق فيك ودائم التحدث عن كفاءتك في اكتشاف

الجرائم؛ فأنت كنت بالنسبة له مصدر فخر بسبب صداقته بك. فقلتُ لها: صبرًا يا ابنتي، وإن شاء الله سأبذل كل جهدي لاكتشاف القاتل والقصاص منه، أعدك بذلك. ثم قلتُ لهم: من فضلكم أريد التحدث مع كل منكم على انفراد.

واخترتُ غرفة الحارس لإجراء التحقيق؛ لأنها بعيدة بالشكل الكافي الذي سيعطيني المساحة لإجراء التحقيق في جوٍ من الهدوء بعيدًا عن التوتر المحاط بالجميع. وقررتُ البدء بحسين؛ فهو المشتبه الأول ليس بالنسبة لي، فأنا لا أتأثر بآراء أحد، ففي نظري الجميع مشتبهون بهم حتى يتضح العكس. ولكن السبب الأكبر لبدئي بحسين أن حسين هو مدير أعمال صابر، ولكنه لم يكن فقط مدير أعماله، وإنما هو الصندوق الأسود لصابر؛ فكنتُ أحتاج إليه حتى أستطيع معرفة كل شيء عن صابر لتحديد مَن القاتل بشكل أسرع.

ولكن بالنسبة لكل الموجودين، حسين هو المجرم الأول. وبالفعل طلبتُ من حسين التحدث معه بغرفة الحارس على انفراد، وبالفعل توجهتُ أنا وحسين إلى الغرفة، والذي كان يبدو عليه ملامح القلق.

قلتُ له: اهدأ يا حسين، لا داعي لقلقك هذا؛ فأنا لست جهة رسمية وإنما مجرد محقق أحاول كشف هوية القاتل فقط. فأنت لست في نظري مجرمًا، ولكنك في نظر الجميع المجرم الوحيد الذي له المصلحة الكاملة في قتل صابر بعد المشادة الكبيرة التي حدثت، والتي كان الجميع شاهدًا عليها، كما أنك في وقت حدوث الجريمة اختفيت تمامًا، وهذا ما يثير الشكوك تجاهك بشكل كبير. وأعتقد أن كل هذه الأحداث عندما يتم عرضها أمام النيابة سيتم إدانته باحتمال كبير، ولذلك من مصلحتك أن تصارحني بكل شيء حتى أستطيع مساعدتك وإظهار براءتك أمام الجميع، وفي نفس الوقت لا يفلت القاتل الفعلي من الجريمة.

ليرد حسين بتأثر: سأصارحك بكل شيء يا أستاذ كمال؛ لأني أشعر أنك الوحيد الذي يصدق أنني بريء ولم أقتل صابر. فأنا عملت معه لخمس وعشرين عامًا وكنت مخلصًا له، وكنت أحبه كأخي الكبير، على الرغم من أسلوبه معي، كنت أحبه كثيرًا وأقدره وأتعلم منه، فكيف أقتله لمجرد أنه تطاول عليَّ بالسب؟ فهو كان دائم الانفعال، وإذا قمت بسؤال العاملين معه سيقولون لك إنها ليست أول مرة تحدث مثل هذه المشادة بيني وبين صابر، فهو دائمًا ما يحملني كل الأخطاء حتى ولو لم أكن السبب، فهو يجيد أن يعلق جميع أخطائه عليَّ كالشماعة، فهو دائمًا لا يخطئ من وجهة نظره، فأنا

الضعيف الذي يستطيع أن يجعل حياتي جحيمًا إذا أراد، ولكن رغم ذلك كنت أحبه وأقدره بحكم العِشرة والصراحة.

كما أنني لا أستطيع إنكار أنه وقف بجانبي في عدة مواقف، آخرها مرض ابني الوحيد الذي احتاج إلى عملية تكلفت الملايين، ولولا ربنا ثم صابر، لما كان ابني على قيد الحياة، ولذلك أنا أدين له بفضل كبير، ودائمًا أشعر أنني مهما بذلت من مجهود لا أستطيع إيفاء حق هذا الرجل عليَّ، حتى طريقته معي أثناء شجارنا وكم الألفاظ التي تُقال لي منه، كنت أتغاضى عنها؛ لأنه يستحق مني ذلك، فأنا لا أحمل له ضغينة أو كرهًا في قلبي، على عكس الموجودين بالخارج، الذين توجد الكثير من العداوات بينهم وبينه، ولكن لا يظهر أحد ذلك، ولكني على علم بتفاصيل كل شيء بينهم وبين صابر، فأنا صندوقه الأسود وكاتم أسراره.

أنت الوحيد يا أستاذ كمال الذي كان يحبه ويقدره ويحترمه، ولم تكن بينك وبينه أي خلاف، بل على العكس تمامًا، كان يثق بك وبكل آرائك، ولذلك أنا أيضًا ثقتي بك كبيرة، وسأصارحك ولن أخفي عنك شيئًا، طالما أن الكل تكتل عليَّ واستغلوا المشادة بيني وبين صابر ليلقوا عليَّ الجريمة بكل سهولة، طبعًا، فأنا الضعيف بينهم، ولست مشهورًا أو صاحب علاقات مثلهم، فأنا مجرد موظف، ومات الذي كنت أعمل معه وأستقوي

به، وكما يقولون ظهري أصبح مكشوفًا، ولا أعلم مصيري بعد وفاة صابر بيه، أو كيف سأجد وظيفة بنفس المنصب والراتب مرة أخرى، فأنا خسرت الكثيرين من أجل إرضاء صابر بيه، لذلك من الصعب أن أجد وظيفة، خصوصًا مع سني الكبير، لذلك فأنا سأحكي لك كل شيء عنهم.

فهناك نجلاء، الممثلة ذات الوجه البريء، التي تُمثل أنها متأثرة بقتله وحزينة على وفاته، فهي ممثلة فاشلة لا تفقه أي شيء عن التمثيل، وبالتالي كان من الضروري أن تجعل أحدًا يتبنى موهبتها غير الموجودة، وكانت مهمتها هي كيفية إقناع صابر بالزواج منها لتبني موهبتها الفاشلة، ولكن صابر كان يعلم جيدًا نيتها، فاستغل ذلك، وأصبح على علاقة معها، حتى إنه طلب مني إحضار شقة ليتقابلوا فيها، ولم تكن هذه المرة الأولى التي يطلب مني فيها مثل هذا الطلب، فكان كل فترة يتعرف على إحدى الفتيات الجميلات، واللائي يوافقن على مرافقته لأنهن يعلمن جيدًا أن هذا الرجل يستطيع تحقيق كل أحلامهن. فكان عندما يتعرف على إحداهن، يطلب مني إحضار شقة ليكون على راحته معها، وعندما يشعر بالملل منها يترك لها الشقة كمكافأة لها. فكان دائم الاستمرار على هذا المنوال مع كل فتاة يتعرف عليها، ومن ضمنهن نجلاء، التي وعدها بوعود خيالية مثل أنه سيتزوجها، وأنه سيقوم بإنتاج مسلسل وعدة أفلام لها مع كبار النجوم من الدرجة الأولى، وأنه سيجعلها هي بطلة العمل عليهم، ولكنه كان دائم التحجج لها،

حتى الزواج تهرب منه بعد أن استمر معها في علاقة لمدة ليست بالقصيرة، وحتى الآن لم يحقق لها شيئًا مما وعدها به.

فهو استطاع أن يجعل نجلاء تحلق في السماء وتصل لأعلى درجة، وفجأة تستيقظ على سقوطها أسفل سافلين. فقل لي يا أستاذ كمال، بعد كل ما قلته لك عن علاقة نجلاء بصابر، هل كل هذا يجعل نجلاء لا تشعر بالرغبة في الانتقام لتبرد قلبها؟ فهل بعد كل هذا يجعلها أيضًا بعيدة عن الشكوك؟ فقاطعته قائلًا: لو سمحت يا حسين، أنت دورك هنا هو أن تصارحني بما تعرفه عن كل الموجودين، وعن كل شيء متعلق بصابر، أما بالنسبة إلى الشك أو تحديد القاتل فأتركه لي، من فضلك.

فأكمل حسين قائلًا: اعذرني يا أستاذ كمال، فأنا أشتاط غضبًا منهم جميعًا، وخصوصًا نجلاء.

وأكمل حسين كلامه قائلًا: أما بالنسبة لأنور، أخوه المنهار أمامك منذ قليل، فصابر استطاع أن يحتال عليه في ميراثه من والدهم بتوكيل قديم، وقام صابر بنقل كل أملاك والدهم لنفسه، واستغل أنه كان يعمل مع والده في شركة العقارات الخاصة بهم، وكان قريبًا من والده بحكم أنه الكبير، وأن أخيه صغير وما زال يدرس في الثانوي. وحينها أُصيب والدهم بجلطة أثرت على حركته وجعلته طريح الفراش، وحينها استطاع صابر إقناع والده أن

يقوم بعمل توكيل عام له حتى يستطيع إدارة الأملاك والحفاظ عليها نظرًا لمعرفته بكل تفاصيل الشغل، وحتى يكبر أخوه ويأتي للعمل معه في الشركة. ووعد أباه بأنه حتى هذا الوقت الذي سيأتي فيه أخوه للعمل معه، أنه سيحفظ لأخيه حقه، وأن أخاه الصغير في رقبته ومسؤول منه مسؤولية كاملة، واقتنع والده، وبالفعل قام بعمل توكيل عام لصابر، تمكن من خلاله من نقل كل الممتلكات والشركات والأموال لنفسه، ولم يترك لأخيه أي شيء، حتى المنزل الذي كان يسكن به هو وأخوه وأبوه باعه لنفسه، ولم يترك لأخيه سوى الشارع، ونحمد الله أنه لم يستطع تسجيله باسمه أيضًا، وأصبح أخوه لا يجد مكانًا يسكن فيه ولا أموالًا يصرف منها.

وعندما واجه أنور أخاه بسرقة حقه في الميراث، رفض صابر الاعتراف بأي حق، وقال له إن كل هذه الأموال والممتلكات ملكي، فأنا أعمل مع والدك منذ زمن، وفي الأيام الأخيرة خسر جميع أملاكه، وقمت أنا بمساعدته وتسديد ديونه.

وبالطبع، أخوه لم يصدق أي كلمة مما قالها صابر، ولكن لم يكن بيده حيلة، وكان مكانه سيصبح في الشارع، لولا وقوف خاله بجانبه، وأخذه للإقامة معه هو وأولاده، واعتبره ابنًا له، حتى إنه تولى الصرف عليه حتى تخرج من الجامعة، والتحق بوظيفة في إحدى المدارس. وخلال هذا الوقت،

كان صابر يبيع كل ممتلكات والده ليستقر في القاهرة، ويبدأ شركته الأولى، حتى يبعد عن أخيه تمامًا ولا يراه أمامه مرة أخرى. وعندما تخرج أنور من الكلية، ذهب إلى صابر وطلب منه أكثر من مرة أن يعمل معه في شركته، ولكن دائمًا ما يقابل هذا الطلب بالرفض، حتى عندما تزوج أنور وازدادت أعباء الحياة على كاهله، جدد طلبه مرة أخرى بالعمل في أي وظيفة عند صابر في إحدى شركاته لتحسين دخله، ولكن لم يكن هناك أي نتيجة سوى الرفض أيضًا، وكان صابر دائم التهرب من رؤية أنور، ولا يوافق على مقابلته إلا إذا ألح أنور بشدة. وكنت أستغرب كثيرًا من صرامة وشدة صابر مع أنور، خاصةً وأن أنور لم يُبدِ أي رد فعل تجاه كل ما فعله صابر به، فكان يقول لي صابر إنه يتوقع منه الخيانة في أي وقت، وإنه لن ينسى ما فعله فيه، وإنه دائم الحقد عليه، حتى إنه دعاه اليوم بعد طلب وإصرار كبير من حبيبة على ضرورة وجود عمها، التي تحبه كثيرًا، ودائمًا تكون على تواصل معه، وهو يظهر حبه لها دائمًا أمام صابر، ولا أعلم هل هذا حب حقيقي أم فقط لخداع واستفزاز صابر؟ ولأن صابر كان يكره تلك العلاقة ومستاء منها كثيرًا، ولكن حبه لحبيبة ودلعه الشديد لها جعله لا يستطيع منعها من التواصل مع عمها.

وكما تعلم أنت يا أستاذ كمال، أن أول وأكبر مستفيد من موت صابر هو أخوه أنور، فصابر ليس له ولد يورثه، وحبيبة ما زالت صغيرة السن، وفي

هذه الحالة سيكون الوصي على حبيبة هو عمها أنور، وبالتالي من الوارد جدًا أن يكون صابر محقًا في قلقه من غدر أخيه، وبالتالي ممكن أن يكون أنور انتظر اللحظة المناسبة التي يجتمع بها مع صابر في مكان واحد وفي مكان معزول وسط الجميع ليحقق غرضه.

وأعذرني يا أستاذ كمال، فأنا لا أحاول التأثير على رأيك في تحديد القاتل، وإنما فقط أعرض وجهة نظر.

فقلت له: أنا متفهم يا حسين، أكمل حديثك. وبالفعل أكمل حسين قائلًا:

أما الدكتور عادل، كان صديق صابر منذ زمن، وكان من أقرب الأصدقاء المخلصين له حتى أتيحت له فرصة سفر للخارج، فاستغل صابر ذلك وغدر به، وقام بالزواج من حبيبته بعد سفره، والتي بالمناسبة هي والدة حبيبة. ولم يكتفِ صابر بذلك فقط، بل قام بضغطها نفسيًا حتى تسبب في إصابتها بالاكتئاب، وقامت بالانتحار من شرفة غرفتها، أي أنه تسبب في موت الفتاة التي كانت حبيبة صديقه وأم ابنته. وحتى الآن الدكتور عادل يعيش على ذكراها ورفض الزواج من غيرها.

وبعد سماعي عما قاله حسين عن الدكتور عادل، هنا أصبح الدكتور عادل داخل دائرة شكوكي أيضًا، فربما كان يشعر بالحقد تجاه صابر طوال هذه الفترة، وأخيرًا أتيحت له الفرصة للانتقام لحبيبته. وهنا تنهدت بصوت

يكاد يكون مسموعًا: فهل يمكن لإنسان أن يجمع كل هذه العداوات؟ وأيضًا من جبروته، بدلًا من إبعاد أعدائه عنه، فهو يجعلهم قريبين منه لهذه الدرجة! فماذا كان ينتظر صابر بعد جمع كل من يحمل له ضغينة بجانبه؟ هل كان ينتظر منهم شكرًا أو مكافأة؟

بالطبع، كان سيُقتل... حقًا غريب! غريب أنت يا صابر، وكأنك كنت تشعر بالغدر، حتى صممت على حضوري اليوم، وكأنك كنت تعلم ما سيحدث لك، وأصريت على حضوري حتى لا يضيع حقك. عنيد أنت يا صابر، ولا تترك حقك حتى بعد وفاتك. وهنا أفقت من شرودي على صوت حسين، وهو يقوم بالنداء عليَّ قائلًا:

إيه يا أستاذ كمال، رُحت مني فين؟! هل أصبت بالذهول بهذه السرعة؟ انتظر قليلًا حتى تسمع الباقي.

فابتسمت بصوت مكتوم وقلت:

لا عليك يا حسين، أكمل كلامك، أنا معك بآذانٍ صاغية.

فأكمل قائلًا:

أما المهندس حسن، فهو كان شريك صابر في كثير من مشاريعه، وبناء معظم الوحدات السكنية، والتي بالمناسبة أغلبها آيلة للسقوط. وفي الفترة الأخيرة كان بينهم الكثير من الخلافات، وآخر خلاف بينهم احتد حسن مع صابر بشكل كبير على نسبة الأرباح في إحدى المشاريع، حيث طلب حسن منه زيادة نسبته أكثر من مرة، فحسن لا يشبع، فكلما أعطاه صابر يطمع

بالمزيد، وعلى الرغم من علم صابر بذلك، كان لا يستطيع الاستغناء عن حسن؛ لأن حسن كما يقال هو المتصدر في وش المدفع، أي أنه هو المتصدر في كل المشاكل والقضايا الخاصة بالمشاريع، فصابر كان الشريك الخفي لحسن، ولا أحد يعلم عنه شيء، وكانت له النسبة الأكبر في الربح. ولذلك، كان يرى حسن أنه يقوم بكل الشغل على عاتقه، وأنه في أي وقت من الممكن أن يذهب وراء الشمس إذا حدث أي خلل، ومن الممكن أن يُقدم للمساءلة القانونية.

وعندما شعر صابر بأنه لا يستطيع القضاء على طمع حسن، قرر تهديده بأوراق تُدينه، وقال له صراحة:

إذا لم تكتفِ بالنسبة التي حددتها لك يا حسن، فستكون هذه الأوراق بين يدي النيابة، وأنت تعلم جيدًا إذا قُدمت هذه الأوراق للنيابة، ماذا ستفعل بك.

فكان صابر يؤمن نفسه جيدًا من غدر حسن، كما أنه هدده برفع قضية بالشرط الجزائي الكبير في عقد العمل الذي مضى عليه حسن للعمل بالشركة في بداية حياته، فكان عبارة عن عقد احتكار مدته خمس وعشرون عامًا.

أما بالنسبة لتوفيق، فكان أول من شارك صابر عندما استولى على أموال والده وانتقل إلى القاهرة. فعندما فتح صابر شركته في القاهرة، شاركه

توفيق، وكانت الشركة للاستيراد والتصدير، وعملوا بكل جهدهم حتى استطاعوا منافسة الشركات الكبرى في وقت قصير، وحققت الشركة نجاحًا باهرًا، وهذا ما شجعهم على الدخول بقوة في مجال العقارات، وأنشأوا أول شركة للعقارات بينهم، والتي قامت ببناء أول مدينة سكنية، وكانت لصفوة المجتمع من الأغنياء والمشاهير.

ولكن لا شيء يبقى على حاله، فسرعان ما انقلب الوضع عندما أُصيبت زوجة توفيق بالمرض، واضطر أن يعالجها في الخارج، حيث كانت تحتاج الكثير من العمليات. كان توفيق شديد التعلق بزوجته، حيث كانت بالنسبة له كل ما يملك، والجميع كان على علم بذلك. فاستغل صابر ذلك بالطبع، فهو دائم التعود على الاستغلال، وبدلًا من أن يقف بجانب صديقه ويساعده، عرض على توفيق شراء نصيبه في كل المشاريع بثمنٍ بخس، ولم يكن أمام توفيق سوى الموافقة، فالوقت لم يكن في صالح زوجته. ولكن قبل السفر مباشرة توفيت زوجته، ولم يستطع أن يعالجها، وفي نفس الوقت خسر كل شيء. خسر زوجته من جانب، ومن الجانب الآخر خسر كل أعماله ومشاريعه التي كانت ستنقله إلى مكانٍ آخر.

ولكنه سرعان ما سيطر على حزنه على وفاة زوجته وغضبه من صديقه، واستطاع الوقوف على قدميه من جديد، فهو يمتلك من الذكاء والخبرة ما يجعله يقف بقوة سريعًا. وخلال وقت قصير، أصبح من أكبر المنافسين لصابر، فتوفيق يمتلك عقلًا لا يُستهان به.

وعندما حاول أن يحقق حلمه الأخير، وهو الترشح للحصول على عضوية البرلمان، والذي كان دائمًا ما يتحدث عنه مع صابر من أيام شراكتهما الأولى، وجد صابر مرشحًا أمامه في نفس الدائرة، مما جعل توفيق يشتاط غضبًا، وقرر إعلان الحرب على صابر. وبالفعل، قام بالحصول على جميع الصفقات التي دخل بها أمام صابر، وآخرهم توكيل السيارات، الذي كان يسعى صابر بكل جهده للحصول عليه منذ أكثر من سنتين، ولكن تمكن توفيق من الحصول على التوكيل من الشركة في خلال شهر واحد، مما سبب صدمة كبيرة لصابر.

لذلك حاول صابر دعوته الليلة لمحاولة إقناع توفيق بالتنازل عن توكيل السيارات لصابر، مقابل انسحاب صابر من الانتخابات. وبالتالي، فإن وفاة صابر لها مصلحة كبيرة لتوفيق، فهو سيحتفظ بتوكيل السيارات الذي حصل عليه، ويضمن عضوية البرلمان بالتزكية، فصابر كان المرشح الوحيد الذي أمامه، كما أنه سيضمن أنه أزاح من أمامه أكبر منافس له في السوق، وسيتحكم في السوق كما يشاء.

أما مهاب فأنا لا أعلم الكثير عن علاقته بصابر بيه، فمعرفتهم لم تزد عن الخمس سنوات، وهي مدة عمله في القناة التي كان يمتلكها صابر، وكان لقاؤهم قليلًا للغاية، ولكني كنت دائمًا أشعر أنه يخاف من صابر بيه رغم أنه معروف عنه جرأته، ولاحظت أن صابر كان يتحكم فيه كما يريد كعروس الماريونيت، فصابر كان ذكيًا للغاية ويُجيد السيطرة والتحكم على

من يعملون معه، ولكن هذه السيطرة كانت لأسبابٍ معينة يعرفها صابر فقط، وحقيقةً أنا لا أعرف سبب تحكمه في مهاب وجعله يهاب من صابر هكذا.

والآن يا أستاذ كمال، أنا صارحتك بكل ما أعرفه عن الموجودين بالخارج، ولم أُخفِ عنك أي شيء لأنني أعلم جيدًا أنك الوحيد الذي ليس له مصلحة في إيذائي وتحميلي جريمة لا أجرؤ على فعلها. فقاطعته قائلًا:

اسمح لي يا حسين، أسألك سؤالًا قبل أن ترحل، وأرجوك أريد أن تُجيبني بكل صراحة، فالصراحة ستفيدك أكثر إن كنت بريئًا.

فقال حسين: تفضل يا أستاذ كمال، اسألني كل ما لديك.

قلت له: ما الذي يجعل شخصية شكاكة ومستغلة لكل شيء مثل شخصية صابر أن يثق في موظف عنده — مهما كان قريبًا منه — أن يكون صندوقه الأسود ويعرف عنه كل هذه الأشياء دون الحذر أو القلق منك؟ فإذا كانت المعلومات التي قلتها لي صحيحة، فهذا شخص لا يثق إلا بنفسه، فكيف يثق بك كل هذه الثقة؟ فلا بد أن تقول لي سببًا منطقيا، وأيضًا أنت لم تقل لي كيف بدأت علاقتك بصابر؛ فلا أعلم سوى أنه وقف بجانبك، فأرجو منك أن تكون صريحًا معي وتُجيب على أسئلتي هذه.

قال حسين: سأحكي لك كل شيء عن علاقتي بصابر بيه. فعندما كنت موظفًا صغيرًا حديث التخرج أعمل بإحدى شركاته بالمجموعة، كنت معجبًا جدًا بذكائه، أنا وبعض زملائي في المجموعة، وكنا دائمَي التحدث عن

ذكائه وقوته، وكان حلمي آنذاك أن أقترب منه حتى أصبح ذراعه الأيمن أو مساعده؛ لكي أتعلم منه ومن خبرته وطريقة إدارته لشركاته، وكان هدفي أن أصبح مثله في يوم من الأيام. لذلك قررت أن أقابله وأطلب منه أن يعطيني فرصة، فأنا مجرد موظف في الأرشيف، وكنت أرى أنني أستحق أن أكون في منصب أكبر بكثير. ولكن دائمًا ما كان يرفض مقابلتي؛ لأنه ليس لديه وقت لمقابلة الموظفين الصغار مثلي، حتى تعرفت على السائق الخاص به، وشيئًا فشيئًا أصبحنا أصدقاء، وتمكنت بذكائي من استدراجه لمعرفة مواعيد تواجد صابر بيه في الفيلا الخاصة به، وبالفعل قمت بالانتظار أمام الفيلا حتى رأيت السيارة وبها صابر بيه تخرج من الفيلا، فقمت بإلقاء نفسي بشكل جنوني أمام السيارة، مما أصاب السائق وصابر بيه بالذهول، وأصابني أنا بعدة كدمات متفرقة بأنحاء جسدي. ورغم ذلك ضغطت على نفسي حتى تمكنت من الوقوف وطلبت من صابر بيه أن أتحدث معه خمس دقائق، قائلًا إنني مستعد أن أضحي بحياتي كلها من أجل أن أتحدث معه فقط.

فنظر لي باستغراب قائلًا:

أنت مجنون يا ابني، ولكنك من الأشخاص التي أحبها والتي لديها استعداد لفعل أي شيء حتى تستطيع الوصول لما تريد، ولذلك تعالَ معي إلى الداخل لنتحدث.

وبالفعل دخلت معه الفيلا وقلت له: أنا أريد فرصة واحدة فقط للعمل بجانبك، فأنا أعمل في شركتك في الأرشيف، ولكن أريد فرصة واحدة فقط لأثبت لك أن مكاني ليس هناك، ولكن مكاني بجانبك، أعطني فقط فرصة ولن أخذلك.

ليرد قائلًا: إصرارك هذا وما فعلته منذ قليل للتحدث معي يجعلك تستحق هذه الفرصة، ولذلك سأعقد معك صفقة. فقلت مسرعًا:

ــ أنا مستعد لفعل أي شيء يا صابر بيه لكي أرضيك وأثبت لك كفاءتي.

ليرد: حسنًا، أنا سأكلفك بمهمة إذا فشلت سيتم فصلك عن العمل، ولن تعمل في شركتي مرة أخرى، ولا أريد أن أراك مرة أخرى أمامي، ولن تحصل حتى على مكافأة أو باقي مستحقاتك، وستوقع على ورقة بذلك.

أما إذا نجحت بها فستكون مدير مكتبي وسأنقلك نقلة لا تحلم بها، وستكون بالمكانة التي ترضيك وترى أنك تستحقها.

وعلى الرغم من خوفي الشديد مما قاله واحتمالية أن أخسر كل شيء مما سيؤثر سلبيًا على مستقبلي كله ومستقبل أسرتي، لكني كنت أثق بنفسي كثيرًا، فكان لدي إصرار كبير على قبول هذا التحدي، فقلت له على عجل: اتفقنا يا صابر بيه.

فقال لي: هناك مناقصة كبيرة أنوي الدخول فيها لشراء سلسلة المطاعم الشهيرة التي تداين مالكها للبنك مما جعل البنك يحجز عليها ويعرضها في مناقصة للبيع، وأريد أن أفوز بها. لا أعلم كيف، ولكن هدفي الفوز مهما

حدث. فهل تستطيع أن تنجح في معرفة الأرقام التي ستُقدمها الشركات المنافسة لنا في المناقصة؟ لأنك كما تعلم أن الشركة التي ستقدم أعلى رقم هي التي ستفوز بالمناقصة. فلو استطعت أن تأتي لي بالأرقام وفوزنا بالمناقصة بسهولة فسأحقق لك كل ما وعدتك به. فهل تستطيع ذلك مع العلم أن إرسال العروض لا يتبقى عليه سوى شهر.

قلت له: هي مهمة صعبة جدًا يا صابر بيه، ولكني أعدك أنني أستطيع، فأعطني الوقت وسوف أنجح؛ فأنا واثق من نجاحي يا صابر بيه.

ليقول لي: لك كل الوقت، ولكن كما اتفقنا لا يوجد احتمال لخسارة هذه الصفقة، فإذا خسرناها سأجعلك تخسر كل شيء.

وبعدها رحلت من الفيلا وقررت أن أفكر بكل الطرق كيف أنجح في الحصول على الأرقام حتى تمكنت من معرفة الموظف المسؤول عن فحص المظاريف الخاصة بالبنك، وتمكنت من مراقبته طوال الوقت، وعرفت عنه بعض المعلومات من ضمنها أنه محب للنساء بشدة، وأنه كما يقولون عنه زير نساء، لذلك توجهت إلى إحدى فتيات الليل التي مستعدة لفعل أي شيء للحصول على المال، وأعطيتها مبلغًا كبيرًا وطلبت منها أن تتعرف عليه وتستدرجه في منزلها وتقوم بتصويره بحيث لا يظهر وجهها في الفيديو ولكن يظهر وجهه بكل وضوح. وبالفعل تمكنت الفتاة من النجاح وقامت بإعطاء الفيديو لي، وتوجهت لمقابلة الموظف وعرضت عليه هذه الفيديوهات، وهددته إن لم يعطني الأرقام التي تقدم بها منافسونا سأقوم

بإرسال هذه الفيديوهات لزوجته ولزملائه في العمل. وبعد ضغط كبير مني وافق في النهاية على إعطائي الأرقام، وتوجهت مسرعًا إلى صابر بيه وأعطيته الأرقام ليقوم بالمزايدة على أعلى رقم بمبلغ طفيف جدًا، وبالفعل فاز بالمناقصة وأصدر قرار تعييني المساعد الخاص به ومدير مكتبه. ولكن حين دعاني لإمضاء قرار تعييني في مكتبه قال لي: أنت ستكون رقم اثنين بعدي في كل شيء، وستكون حافظ أسراري الخاصة، وستحل محلي في غيابي، وبمرتب كبير، ولكن لدي شرط حتى أضمن ولاءك طوال فترة عملك معي، وهو أن تُوقع لي على دفتر شيكات على بياض. فإذا رفضت تستطيع أن تُقدم استقالتك وترحل وكأن شيئًا لم يكن.

فشعرت بالقلق من طلبه هذا، ولكن بعد كل هذا المجهود، ومن أجل هذا الشرط، سأترك كل شيء؟ بالطبع لا.

كما أنني في هذا الوقت كنت قد صرفت كل ما جمعته من مال في حياتي وما ورثته كي يفوز بالمناقصة، فلم يكن أمامي سوى القبول.

وهذا هو ما يجعل ثقته فيَّ كبيرة؛ لأنه يعلم جيدًا أنني لو فتحت فمي بأي شيء فهو لديه القدرة على وضعي في السجن طوال حياتي. فهذه طبيعة صابر يا أستاذ كمال، فهو يحب شعور السيطرة وأن يكون ممسكًا بجميع الحبال في يده.

فقاطعت حسين قائلًا: إذن أنت أيضًا يا حسين لك مصلحة في قتله حتى تستطيع التخلص من سيطرته عليك.

فرد مسرعًا بصوت عالٍ:

لا، بالعكس يا أستاذ كمال، فأنا حاليًا أشعر بالخوف من موضوع الشيكات أكثر، فعلى الأقل كنت أعلم أن صابر بيه لن يؤذيني طالما أنني لم أغدر به أو أخونه. ولكن الله أعلم هذه الشيكات ستقع في يد من بعد وفاة صابر، فهل هذا الشخص سيقوم بابتزازي حتى لا يعطي هذه الشيكات للنيابة، أم لن يكون له مصلحة معي وسيقوم بسجني فورًا؟

كما أنني بالطبع لن أجد عملًا براتب كبير، فصابر بيه جعلني أعادي الجميع بسبب مصلحته.

فتنهدت وقلت له:

تمام يا حسين، إذا أنهيت كل ما عندك، فأنا أيضًا انتهيت من كلامي.

فقال لي:

أنا قلتلك كل اللي أعرفه يا أستاذ كمال ولم أخفِ أي شيء، ولكن أرجوك، بعد كل ما سمعته، هل أنا ما زلت في نظرك لي يد في قتل صابر؟

فقاطعته قائلًا:

يا حسين، الجميع بالنسبة لي متهم حتى أستطيع إثبات العكس.

والآن، من فضلك تفضل إلى الخارج وأرسل لي نجلاء، ولا تتجادل مع أي أحد بالخارج.

فقال لي:
حسنًا يا أستاذ كمال.

وقام بالخروج، وبعد عدة دقائق وجدت نجلاء تدخل الغرفة بملامح قلق وعصبية، ونظرت لي في غضب وبصوتٍ حاد:
هل تتهمني بالقتل يا أستاذ كمال؟ أنا ممثلة معروفة، كيف تتهمني بشيء كهذا؟ أنا خارج هذا الاتهام تمامًا!

قلت لها بكل هدوء:
ألم أقل أمامكم إن الجميع متهمون بما فيهم أنا حتى أستطيع إثبات العكس؟
أنا لا أتهم أحدًا بعينه مثلكم كما اتهمت حسين، أنا فقط أريد تحقيق العدالة، ليس أكثر، فمن فضلك اهدئي وساعديني.

فقالت:
تمام يا أستاذ كمال، سأحاول مساعدتك.

فطلبت منها الجلوس ووجهت لها أول سؤال قائلًا:

حسين قال إنك كنت على علاقة بصابر وتريدين الزواج منه، وأنه قدم لك عدة وعود ثم تخلى عنك ولم ينفذ أيًا منها، وأنه في الفترة الأخيرة كان دائم الشجار معكِ.

فقاطعتني بانفعال واضح وصوت عالٍ:
لا، هذا غير صحيح بالمرة!

فقلت لها:
من فضلك اهدئي، هل تسمحين لي بالاطلاع على الهاتف الخاص بك؟

فقالت:
بالطبع لا، فالأشياء الموجودة على الهاتف أشياء شخصية وليس من حقك الاطلاع عليها.

فقلت لها:
أنا مُصر على طلبي من فضلك.

ولكنها رفضت بحدة قائلة:
مهما يحدث لن أطلعك على هاتفي، فهذه أشياء شخصية للغاية، ومن فضلك لا تضغط عليَّ أكثر من هذا.

وهمت بالوقوف قائلة:

إذا انتهى كلامك معي، سأذهب إلى الداخل.

فتحركت للرحيل فقلت لها مسرعًا:

لحظة من فضلك قبل أن تذهبي، اسمعيني لدقيقة واحدة، وإن لم يعجبك كلامي لن أعارض خروجك.

فردت في غضب:

تفضل.

قلت لها:

هل تعلمين ماذا سيحدث إذا لم نستطع معرفة القاتل اليوم؟ وماذا سيحدث أثناء التحقيق معك في النيابة إذا قال لهم حسين ما قاله لي؟

فهم لن ينظروا إلى أنك ممثلة معروفة، بل ستكتب عنك الصحافة والإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي التي تكون مهمتها ترويج الشائعات والأخبار وتزييف الحقائق حتى يقوموا بتشويه صورتك أمام الجميع، وكم سيؤثر ذلك على عائلتك وعليكِ شخصيًا وعلى مستقبلك. كما أن النيابة ستراسل شركة المحمول للحصول على سجل المكالمات الخاص بكِ والرسائل، وسيظهر لهم كل شيء، وستكونين من ضمن من يتم توجيه الاتهام لهم أمام النيابة.

حتى وإن قمتِ بتوكيل محامٍ شهير للدفاع عنك أثناء التحقيق وتم الإفراج عنك، فهذا سيعرضك لضغط عصبي ونفسي ليس من السهل تحمله.

فإذا كنتِ بالفعل بريئة كما تقولين، فأنتِ في غنى عن هذا كله، ولذلك أرجو منك التعاون معي، وأعدك أن أجد القاتل. أنا لا أطلب منك سوى الحقيقة والمساعدة في كشف القاتل.
والآن، من فضلك أعطيني الهاتف ودعيني أطلع، وما سأعرفه في هذه الغرفة لن يعرفه أحد غيري، وأنا أعدكِ بذلك.

فنجحت في إقناعها، وبالفعل جلست على المقعد ودخلت في نوبة بكاء هستيري، فتركتها حتى هدأت، وسألتها:
هل تثقين بي؟

قالت: نعم.

قلت: حسنًا، هيا نبدأ.

فأومأت برأسها بالموافقة وهي تقوم بمسح دموعها المنهمرة، وقامت بفتح الهاتف وأعطته لي. وكما توقعت، هناك عدة رسائل غرامية بينها وبين صابر منذ فترة طويلة، ولكن الرسائل في الفترة الأخيرة، وخاصة آخر رسالة بينهم، كانت المفاجأة بالنسبة لي. فتحول الحب والغرام إلى تهديدات

متبادلة بين الطرفين بسبب علمه بحملها، وكان يطلب منها التخلص من الجنين؛ لأنه لن يعترف به، وهي كانت تهدده برفع قضية إثبات نسب فور الإنجاب وستطلب من المحكمة إجراء تحليل للحمض النووي، وأنها طوال فترة حملها ستذهب خارج البلاد حتى لا يستطيع الوصول إليها.
وهنا انتهت الرسائل التي كانت بينهم.

فقمت بإعطاء الهاتف لها وقلت لها:
ممكن أن تشرحي لي الأمر بشكل جيد؟ لأن، أعذريني فيما سأقوله، هذه الرسائل كفيلة باتهامك في قتل صابر. فأنتِ الآن أصبحتِ من المستفيدين من قتله؛ لأن بعد وفاته إذا استطعتِ إثبات نسب الطفل فسيكون له نسبة كبيرة من الإرث في ثروة صابر.

فقاطعتني باكية:
أبدًا، لم أقتله، ولم يخطر على بالي مثل هذا الشيء، مع أنه يستحق القتل، ولكني لم أفعل ذلك. أرجوك صدقني، وسأوضح لك كل شيء بصراحة، ويعلم الله أنني صادقة في كل كلمة، ولن أخفي عليك شيئًا، أعدك بذلك.

فقلت لها:
تفضلي، فكلي آذانٍ صاغية.

فقالت:

علاقتي بدأت مع صابر عندما التقيت به صدفة في حفل أحد رجال الأعمال، وعبر لي عن إعجابه واهتمامه الكبير بي، وكم أنني ممثلة ذات موهبة كبيرة، وأنه سيكون لي مستقبل كبير في التمثيل. وعبر لي عن رغبته في دخول عالم الإنتاج السينمائي واستثمار أمواله فيه، وأنه سيقوم بفتح شركة للإنتاج الفني، ويرى أنني سأكون نجمة الشباك لهذه الشركة، وأنه يرغب أن أكون أول النجوم المتعاقدة معه، وأنه سيوفر لي كل الإمكانيات التي أحلم بها لتحقيق النجاح.

وبالفعل استطاع التأثير عليَّ، فأنا كأنما كنت في حلم أثناء حديثه، وتقابلنا عدة مرات لنتحدث عن العمل والعقود، حتى أنه طلب مني إحضار أكثر من سيناريو من المؤلفين الذين تجمعني علاقة بهم للعمل عليهم.

وبالفعل كنت أتحدث مع الكُتاب الشباب والكبار عن أفكار أفلام جديدة تناسبني، وكنت أطرحها عليه، وكنا نتناقش فيها معًا، لكنه لم يكن يعجبه شيء مما أحضره، ويحاول أن يظهر لي سوء الفكرة أو القصة ليكون مبررًا لرفض السيناريو.

وفي كل مرة كنت أقابله، ألاحظ إعجابه بي وبجمالي. فهو ليس أول رجل يحاول ذلك، ولكن الفرق أن الباقي لم يكن لديهم قدراته المادية ولا ذكاؤه الذي خُدعت به.

بدأ يصيبني اليأس من قبوله أي سيناريو، لكنه كان ذكيًا جدًا، وكان دائمًا يقول لي: أنا أريد أن يحقق أول عمل ببطولتك نجاحًا وصدىً كبيرًا.
وفي كل مرة كان يحاول أن يجعلني أتعلق به، فكان يهديني الهدايا الثمينة والألماس.

ورغم انبهاري وإعجابي وتعلقي به، لكني كنت أُلح إلحاحًا شديدًا لإنتاج الفيلم. حتى أنني قلت له: إن لم تساعدني ونختار سيناريو خلال أيام، لن أقابلك مرة أخرى.

فأحب أن يضمن سكوتي لبعض الوقت، فتوسط لأحد أصدقائه المخرجين للاستعانة بي في أحد الأدوار الهامة في فيلمه. وكانت فرصة لا تُعوض بالنسبة لي؛ لأنه مخرج مصري وله أعمال خارج مصر.
وساهم نجاح الفيلم في زيادة شهرتي. واستغل صابر فرحتي بالشهرة ونجاح الفيلم، وصارحني بحبه ووعد بالزواج، ولكنه طلب مني فرصة لإقناع ابنته بهذا الزواج.

وحتى ذلك الوقت طلب مني الإقامة معه في شقة خاصة به لفترة قصيرة حتى يقنع ابنته؛ لأنه لن يقدر على بعدي عنه طوال هذا الوقت.

وبالفعل وافقت على طلبه الجريء هذا، ليس حبًا أو تيمنًا به، ولكن ما جعلني أوافق هو خوفي أنني إذا رفضت طلبه، أضيع على نفسي كل ما أحلم به.
وبالفعل ذهبت للإقامة معه على أمل أنه يومًا ما سيفي بالوعود التي قطعها لي.

وبعد مرور فترة كبيرة من الوقت على إقامتي معه، لم يحقق لي أي شيء، وعندما كنت أغضب وأطالبه بتنفيذ وعوده، كان يتحجج لي بأي شيء. تارة أنه مشغول، وتارة أخرى أنه لا يعرف كيف سيفاتح ابنته في موضوع زواجنا، وتارة يأتي إليَّ بالهدايا الثمينة ويقول لي إنه سيترشح لعضوية مجلس النواب، وزواجه مني قبل دخوله البرلمان سيؤثر على أسهمه في الانتخابات بسبب فرق السن بيننا وأدواري الجريئة في بعض الأفلام. وكان يطلب مني الانتظار حتى يأتي الوقت المناسب.

وخلال هذه الفترة وجدت نفسي حاملًا دون أن أخطط لذلك، حينها صارحته بحملي وطلبت منه بشكل واضح أن يحدد موعدًا لزواجنا سريعًا، وأني مستعدة أن أفعل أي شيء ليتزوجني، حتى أنجب ابني أو ابنتي في النور، وأنني مستعدة أن أتخلى حتى عن حلمي بالتمثيل وأقبل أن أكون زوجة وأم فقط.

ولكني تفاجأت بغضبه وإنكاره كل شيء، حتى أنه أنكر كل وعوده لي.
وعندما هددته باللجوء للقضاء ورفع قضية نسب عند الولادة، كان رده عليَّ أنه سيقتلني.
وبعدها هددته بالاختفاء والسفر للخارج حتى الولادة، وحينها لم يرد وترك المنزل وخرج.
وبعد يومين جاء إلى الشقة وطلب مني بكل هدوء إجهاض الطفل، ووعدني بالتعويض المادي.

ولكني رفضت تمامًا إجهاض طفلي، وحدثت مشادة انتهت بتركه المنزل وخرج، وبعدها أرسل لي عدة رسائل تهديد كما رأيت، وضغط عليَّ بشدة حتى وافقت خوفًا من أن يفعل بي شيئًا أو يحاول إجهاضي بالإجبار دون أن أحصل على أي شيء.

وبعد العملية، كعادته، بدأ التهرب مني ورفض إعطائي باقي أموالي، فقمت بتهديده بأن أفضحه على وسائل التواصل الاجتماعي بالرسائل التي معي وتشويه صورته، والذي سيؤثر بدوره على أسهمه في الانتخابات، فأنا أصبحت لا أبكي على أحد، فأنا سأظل في الدور الثاني طوال حياتي، وحلم البطولة المطلقة أصبح من ضرب الخيال.

ومع إصراري الشديد وخوفه من الفضيحة والشوشرة على سمعته قبل الانتخابات، فاستجاب لي أمس وقام بدعوتي لكي يعطيني الشيك بالمبلغ المتبقي.

فقاطعتها قائلًا: وهل أعطاكِ الشيك اليوم كما وعدكِ؟

فقالت: لا، لم يعطني الشيك، فهو اتفق معي أنه بعدما سينام الجميع سيأتي إلى غرفتي بعد منتصف الليل ليعطيني الشيك، ولكنك تعلم يا أستاذ كمال ماذا حدث عند منتصف الليل.

فسألتها: هذا كل شيء؟

قالت لي: هذا كل شيء، صدقني لم أُخفِ عنك شيئًا، فأنا لم أدعِ البراءة، أنا أيضًا كنت طماعة وأخطأت في أشياء كثيرة، ولكني لم أقتله.

فقلت لها: حسنًا، تفضلي أنتِ وبلغي حسن أنني أنتظره.

فهمت بالوقوف قائلة: لا تنسَ وعدك لي يا أستاذ كمال بعدم الإفصاح عن شيء لأحد.

قلت لها: أنا عند وعدي، هذه المعلومات لن يعرفها أحد، وبالفعل أنا كنت ملتزمًا بوعدي، وعندما كتبت عن هذا الحادث في سلسلة المقالات، قمت بتغيير جميع الأسماء حتى لا تُعرف الأسماء وتحفظ الأسرار.

وقبل خروجها، قمت بسؤالها: ألم تلاحظي أي شيء غريب اليوم، خاصة أنكِ كنتِ مستيقظة وكانت غرفتك قريبة من غرفة المكتب التي حدث بها القتل؟

فقالت: لم أسمع أي شيء، صدقني.

فقلت لها: حسنًا، تفضلي وأرسلي لي حسن.

ومرت عدة دقائق حتى دخل حسن، والذي كان على عكس الذين دخلوا قبله، حيث كانت تعلو ملامحه الثقة الكبيرة في نفسه، وقال لي: أنا تحت أمرك، أي مساعدة لكشف القاتل أنا مستعد لتقديمها.

فلا أكذب عليك، فرحت من داخلي أنني وأخيرًا سوف أوفر مقدمة التهدئة التي أقوم بها في كل مرة، وأنني أخيرًا سأبدأ التحقيق فورًا.

فنظرت له قائلًا: لا أطلب منك شيئًا سوى مصارحتي بطبيعة علاقتك بصابر دون إخفاء أي شيء، وما ستقوله لي لن يعلمه أحد، ولن يخرج خارج هذه الغرفة، وواجهته بما قاله حسين والشجار الأخير الذي دار بينهما بخصوص زيادة النسبة.

فقال لي: هذه ليست كل الحقيقة، أنا سأحكي لك كل شيء من بداية معرفتي بصابر.

قلت له: أسمعك، تفضل، ابدأ.

فتنهد حسن قائلًا: بدأت حكايتي مع صابر عندما تخرجت من كلية الهندسة بتقدير مرتفع منذ عدة سنوات، وكنت الأول على دفعتي، ولكن لأنني من الطبقة السفلى وليس لدي واسطة، لم أُعين في التدريس، وتم اختيار الثاني على الدفعة؛ لأنه ابن عميد الكلية.

وطبعًا حاولت أن أرفع قضية لاسترداد حقي وتعييني، ولكني كنت لا أمتلك المال اللازم لأتعاب المحامي ومصاريف القضية، والتي تطلبت الكثير من الأموال.

وكعادة حديثي التخرج الذين لا يمتلكون الواسطة، فشلت في الحصول على عمل مناسب، وقمت بالعمل في عدة شركات كمندوب مبيعات لكي أتولى الصرف على عائلتي المسؤولة مني.

فبعد وفاة والدي، كان المعاش الذي تحصل عليه أمي لا يكفي مصاريف أسبوع من الشهر، ورغم سنها وحالتها الصحية المتدهورة، كانت تعمل لكي تستطيع الصرف على تعليمي أنا وإخوتي، فالراتب الذي كانت تحصل عليه بجانب المعاش بالكاد كان يكفي.

والآن أنا تخرجت، وأمي تنتظر مني أن أساعدها وأتحمل معها مصاريف إخوتي الأربعة.

وكنت لا أكف عن البحث عن وظيفة أخرى تكون خاصة بمجال عملي وراتبها يكفي لمصاريفي ومصاريف عائلتي.

وفي أحد الأيام، وجدت إعلانًا على مواقع التواصل الاجتماعي لمجموعة صابر المختار، والتي تعلن عن مسابقة لتصميم أحدث أبراج الشركة، وسيختارون أفضل تصميم، وسيتم تعيين صاحبه في الشركة.

وكانت هذه كأمنية أو حلم بالنسبة لي، فكنت أعمل ليل نهار حتى توصلت لأفضل تصميم، وتقدمت به في المسابقة، وبالفعل حصل تصميمي على المركز الأول وتم تعييني براتب كبير أكثر مما أحلم، والذي سيساعدني أن أريح أمي في المنزل، وأن أتولى الصرف على إخوتي وتكوين نفسي للزواج من حبيبة عمري.

وطلب مني إمضاء عقد التعيين الذي من فرحتي لم أقرأ أي بند به، فعندما رأيت رقم الراتب المدون في العقد، لم ترَ عيني أي شيء آخر، ومضيت كالأبله.

وبدأت بالعمل في شركة صابر، وكنت أشرف على الكثير من مشاريعه لعدة سنوات، وكنت أعمل بها بجد حتى أستطيع إثبات نفسي وأرتقي في العمل أكثر من ذلك، وكان صابر معجبًا بي بشدة، ودائمًا ما كان يصرف المكافآت لي.

فكان دائمًا يقول لي: أهم شيء لدى في البناء هو المظهر الخارجي فقط، والباقي لا تهتم به.

فهو لم يكن يهتم بجودة الخامات، أهم شيء له أن يكون شكل الشقق والأبراج مبهرًا لجذب العميل.

وكنت دائمًا ما أحقق له تلك المعادلة الصعبة، على غير قناعة مني، بالطبع، ولكن لا أستطيع أن أفعل غير المطلوب مني.

وبعد فترة، طلب مني أن أقوم بفتح شركة مقاولات من الباطن باسمي، وأنا كنت لا أملك سوى قول نعم و حاضر.

وقام بإسناد عدة مشاريع للشركة التي أمتلكها، وكان يفرض عليَّ البناء بخامات رديئة، حتى من التي كنت أستعملها في الأبراج الخاصة به، مع أنها كانت رخيصة أيضًا، ولكنه كان يُصر على الأرخص فقط، حتى لو كانت ستسبب لي مشكلة فيما بعد وتؤثر على المبنى.

ومقابل ذلك، كان يعطيني الفتات من المكسب، ورفع مرتبي إلى الضعف فقط أمام كل هذا المجهود.

هل تتخيل؟ وأنا الذي أحمل كل تلك المسؤولية على عاتقي أمام القانون وأمام العملاء، والذين كنت أحاول أن أرضيهم وأحافظ لهم على الحد الأدنى من الأمان للمبنى.

وبعد فترة، تحدثت معه حول زيادة نسبتي لتكون معقولة على الأقل، أو الانفصال عنه، فالشركة كانت تحقق مكاسب بالملايين شهريًا، وأنا أحصل على راتب كأني مجرد موظف يعمل عنده في الشركة.

فأنا كل شيء في الشركة، وهو مجرد ممول فقط، فهل هذا عدل؟

وحينها، تكلم معي بأسلوب حاد، وقام بالتهديد بسجني؛ لأنه يملك أوراقًا تدينني أثناء العمل في شركته، وأنه سوف يتهمني بالغش في مواد البناء

وسرقتها، كما سيُقدم عقد العمل بيني وبينه للمحكمة، وهددني بأنه يمتلك أسطولًا من أكبر المحامين، ويعرف جيدًا كيف يقضي على مستقبلي.

ولكني انفعلت كثيرًا من تهديده، وقلت له: افعل ما تشاء، فأنا مصمم على موقفي هذا ولن أغيره، فالآن لم أعد أحتاج المال كالسابق، بل أنت الذي تحتاجني.

وانتهى الحديث بيني وبينه على هذا، وظل الوضع متأزمًا بيننا حتى قام بالاتصال بي منذ عدة أيام وطلب مني الحضور لقضاء اليوم في فيلته الجديدة، ووعدني بأننا سنتفاوض على النسبة التي أريدها، وأنني لن أخرج من عنده إلا راضيًا، وبالفعل وافقت، وكنت في غاية السعادة لأنني كنت أخاف أن ينفذ تهديده لي بالسجن.

وهذا كل شيء بيني وبين صابر، وصدقني، لم أكذب عليك في حرف واحد.

فقلت له: إذن، أنت مستفيد للغاية من قتل صابر، فبعد قتله لا أحد يملك أي تهديد عليك، وبالتالي تستطيع العمل بمفردك وتحقق حلمك الذي تحلم به، ويكون لك كيان منفصل.

فقال لي: ربما كنت أخاف منه، لن أكذب، ولكني لا أتمنى موته، فأنا لا أستطيع أن أقتل أحدًا مهما كان كرهي له، فهو في الأول والآخر إنسان.

وإذا كنت فعلت أشياء خاطئة في الماضي، فذلك لأنني كنت لا أمتلك رفاهية الرفض، ولظروف خارجة عن إرادتي، واحتياجي للمال.

غير ذلك، لا تنسَ أنه وعدني بزيادة نسبتي، فلماذا أقتله؟

فقاطعته قائلًا: سأعيدها عليك للمرة الثانية؛ لأن إجابتك لم تُقنعني: تقتله لتستطيع التخلص من سيطرته للأبد وتحقق حلمك.

فرد مسرعًا: يا أستاذ كمال، ما حصلت عليه في كل السنين القصيرة التي عملت بها مع صابر بالكاد يكفي مصاريف إخوتي وتأمين مستقبلهم التعليمي، وعمل وديعة تتكفل بمصاريف تعليمهم، ووديعة لأمي إذا حدث لي شيء ليصرفوا من فوائدها، لأنني كما تعلم كنت الذي يلعب بالنار، معرض للسجن في أي وقت إذا غضب صابر.

فقررت في الأيام الأخيرة جمع كل ما أملكه من المال لكي أؤمن مستقبلهم، حتى إذا دخلت السجن لا يتشردوا ويكملوا تعليمهم، وأمي أيضًا لا تحتاج لأحد من بعدي.

وأنا كنت فقط أحاول أن أضغط عليه وأهدده بترك العمل لأزيد من نسبتي، ولكن كان من الصعب جدًا والمستحيل أن أنافس دون صابر، ويكون لي شركة منفصلة، فأنا لا أمتلك المال الكافي كما قلت لك، لكي أستطيع أن أنافس الكبار في السوق، كما أنافسهم الآن من خلال صابر.

فقلت له: شكرًا لك على وقتك، من فضلك أرسل لي حبيبة.

وخلال انتظاري حضور حبيبة، شردت بتفكيري في نظرة الثقة التي كان يدخل بها حسن، والتي ظننت في البداية أنها كانت مصطنعة حتى يُبعد شكوكي تجاهه، لكني الآن، وبعد انتهائي من التحقيق مع حسن، تأكدت أن

هذه النظرة ليس لها علاقة بأنه قاتل صابر أم لا، فليس بالضرورة أن يكون هو قاتله، وإنما هي نظرة انتصار وفوز في معركة كان بداخلها.

أفقت من شرودي على دخول حبيبة، التي تحمل ملامح العجز والحزن، ممزوجًا بالبراءة وقلة الحيلة.

قلت لها: حبيبتي، ألا تريدين معرفة قاتل والدك؟

قالت: بالطبع، فهو كل ما لدي، فأنا أصبحت يتيمة الأب والأم الآن.

فقلت لها: حسنًا، أريد منكِ أن تساعديني وتتمالكي أعصابك، أنا لا أريد منكِ سوى أن تقولي لي أي شيء تعرفينه عن أي شخص بالداخل، أو إذا لاحظتِ أي شيء عليهم.

قالت لي: أنا لا أعرف شيئًا، ولكن عمي أنور كانت علاقته بوالدي دائمًا متوترة للغاية، ولولا إصراري على حضوره اليوم، ما كان والدي سيطلب حضوره، فهو دائم العداء مع والدي، ودائمًا ما كان يتهم والدي بسرقة ميراث جدي.

ولكن لا أعتقد أن يصل الموضوع إلى حد القتل، فهو أخوه.

أما باقي الموجودين، لا أعلم ما علاقتهم بوالدي، كنت أراهم قليلًا في منزلنا، ما عدا عمو عادل، فكنت أراه في الفترة الأخيرة كثيرًا أثناء متابعة والدي، كما أنه صديقه المقرب.

قلتُ لها: هل لاحظتِ أي شيءٍ بعد ذهاب الجميع إلى غُرفهم؟

قالت: لا، لم ألاحظ أي شيء، فأنا كنتُ أشعر بالإرهاق، فبمجرد دخولي الغرفة لم أستيقظ إلا عندما انقطع النور، فتركتُ الغرفة مسرعةً، فأنا أخشى الظلام.

فقلتُ لها: شكرًا لكِ يا حبيبتي، ولا تقلقي، أنا بجوارِكِ ولن أتركِكِ، واعتبريني والدكِ. صدقيني سأبذل كل جهدي لأعرف القاتل حتى يأخذ عقابه. أنا انتهيت من الحديث معكِ، وأرجو منكِ إرسال الدكتور عادل إليَّ.

دخل الدكتور عادل، فقلتُ له: أرجو منك أن تحدثني بكل صراحة، حسين قال لي عن العلاقة التي كانت تربطك بوالدة حبيبة زوجة صابر، وأنها كانت حب عمرك. فهل هذا دافعك لقتل صابر للانتقام منه؟

فنَظر إليَّ بوجهٍ خالٍ من أي ملامح اندهاش، وقال: كما توقعتَ، يحاول أن يرمي التهمة على كل الموجودين حتى يفلت من العقاب. ولكني سأصارحك بكل شيء، وأعدك أنها الحقيقة كاملة دون أي إضافات. وأكمل قائلًا: تربيتُ أنا وصابر في الشرقية جنبًا إلى جنب في الحي نفسه، وكنا أصدقاء منذ الولادة تقريبًا بسبب علاقة الصداقة التي تربط والدتي بوالدته ـ رحمهم الله جميعًا ـ حتى التحق صابر بكلية التجارة، والتحقتُ أنا بكلية الطب، وهنا تعرفتُ بحب عمري وزميلتي مُنى التي كنت أحبها بشدة. فحكيتُ لصابر كل شيء عن إعجابي بمنى، وأنني أحلم بالزواج منها، وأخجل من مصارحتها بحبي لها. وكان دائمًا ما يشجعني على مصارحتها، لكنني كنت

أخاف من رفضها. كنت أخطط أنني عندما أتخرج وأحصل على الماجستير سأفتح عيادة، وحينها سأعترف لها بحبي وأتزوجها.

وبالفعل، بعد تخرجي سعيتُ بكل قوة للحصول على الماجستير في أسرع وقت. كان صابر في تلك الفترة يمتلك شركة منذ ثلاثة أعوام بعد وفاة والده والانتقال إلى القاهرة، وكان قد بدأ يذيع صيته ويكون له اسمًا كبيرًا. أما أنا، فبعد حصولي على ماجستير القلب بامتياز، حاولتُ استئجار عيادة وتجهيزها، لكن الإيجارات والأجهزة كانت باهظة الثمن. فطلبتُ من صابر أن يُقرضني مبلغًا من المال لأستأجر عيادة وأجهزها، لكنه رفض متحججًا بأنه يدخل في عدة مشاريع كبيرة ويحتاج كل قرشٍ من المال، فصمت ولم أكرر طلبي ثانيةً.

وفي أحد الأيام تلقيتُ عرضًا من أحد أساتذتي ـ الذي كان يعمل بإحدى أكبر المستشفيات في بريطانيا ـ للعمل مساعدًا له في المستشفى. كنت مترددًا في القبول خوفًا من ضياع حب عمري، لكن صابر أقنعني قائلًا: هذه فرصة لا تُعوض، وبعد سنتين أو ثلاث تستطيع أن تأتي إلى مصر لتتزوج من مُنى، وستكون عريسًا لا يُرفض. ومع إصرار والدي ـ الذي رأى أنها فرصة لا تأتي في العمر إلا مرة، خاصة أنها ستكون فرصة للحصول على الدكتوراه واكتساب خبرة كبيرة ـ قررتُ قبول العرض والسفر إلى بريطانيا.

خلال العام الأول حققتُ نجاحًا في الدراسة والعمل، وفي السنة الثانية جاءني خبرٌ من أحد أصدقائي بزواج مُنى، ما أصابني بالإحباط الشديد فلماذا كنت أبذل هذا المجهود وكله كان من أجلها! لكن في النهاية قررتُ أن أستمر في نجاحي حتى لا أخذل والدي، واستمررتُ بالعمل هناك لسنوات حققتُ فيها نجاحات كبيرة. وفي أحد الأيام أصيب والدي بمرضٍ شديد، فطلبتُ منه أن يأتي إلى بريطانيا حتى أستطيع علاجه، لكنه رفض السفر؛ لأنه يريد أن يموت في بلده. فقررتُ العودة إلى أرض الوطن لأكون بجانبه في آخر أيام عمره.

حين رجعتُ إلى مصر، كان صابر في انتظاري؛ فقد كان دائم التواصل معي، وكنت أسأله كثيرًا عن أحوال مُنى، لكنه كان دائم التهرب من الإجابة. لم يخطر ببالي أن صديق عمري هو من تزوج مُنى حتى علمتُ من أحد أصدقائنا القدامى أن صابر هو من تزوجها، وأنها انتحرت من شرفة غرفتها؛ والخبران أصاباني بصدمة شديدة، كيف لمنى التي كانت مليئة بالحيوية أن تصاب بحالة نفسية وتنتحر، وكيف لصديق عمري أن يتزوجها!

قطعتُ علاقتي معه عدة أشهر حتى جاء إليَّ، وقال لي إنه تعرف إلى مُنى بالصدفة في إحدى المناسبات، وأن تلك المناسبة جاءت بمحض الصدفة. حاول منع نفسه بشدة من التعلق بها، لكنه وقع في حبها دون أن يشعر،

وهي أيضًا صارحته بحبها، فقررا الزواج. لكن بسبب كثرة أشغاله وسفره أثر ذلك عليها، دون أن يشعر أنها كانت مريضة باضطراب الشخصية الحدية، وأنه لم يعرف ذلك حتى انتحرت. وطلب مني أن نتخطى ما حدث، قائلًا: أنت صديقي وأخي الحقيقي الذي أملكه في الحياة. لكني رفضت، وقلت له: ابتعد عني. وبالفعل ابتعد لفترة متعللًا أنه سيتركني حتى أهدأ.

قمتُ خلال هذه الفترة بافتتاح مركز خاص لعلاج القلب والحالات الحرجة. استمرت علاقتنا مقطوعة حتى توفي والدي منذ ثلاث سنوات، فتفاجأتُ بصابر يقف بجانبي ولم يتركني لحظة، وأصبح يزورني يوميًا ويترك أعماله؛ فهو يعلم ارتباطي الشديد بوالدي، فهو الوحيد الذي كان باقٍ لي في الدنيا. وقوفه بجانبي حماني من الاكتئاب وخفف عني مصيبتي، وعادت صداقتنا شيئًا فشيئًا كما كانت من قبل.

ومنذ عام تقريبًا قال لي إنه يعاني مشاكل في القلب، وطلب مني أن أقوم بعمل عدة فحوصات له. وبالفعل قمتُ باللازم، ووجدتُ أنه يحتاج إلى عملية زرع جهاز لتنظيم ضربات القلب. وعندما أخبرته بذلك، قال لي: سأطلب منك طلبًا بحكم الصداقة. قلتُ له: تفضل. قال: أريد عمل العملية في الخارج، ولا أريد أحدًا غيرك يعلم بهذا الموضوع. قلتُ له: إنها عملية بسيطة ولا تحتاج كل هذا القلق، لكنه أصر على ذلك، وقال إن له

كثيرًا من الأعداء والمنافسين في السوق، ويريد دائمًا أن يصدر لهم قوته؛ فهو يعتبر المرض ضعفًا ولا يريد أن يظهر ضعفه. ومع إصراره وافقتُ.

وبالفعل توجهتُ أنا وهو وحبيبة ـ التي أصر على اصطحابها ـ إلى إنجلترا، وقمنا بإجراء العملية وتركيب الجهاز. لم يستغرق وقت السفر سوى أسبوعين فقط، واستمررتُ في متابعته شبه يوميًا في المنزل؛ لأنه كان مصابًا بالوسواس، كان يخاف الموت ويكره المرض، وكان منتظمًا دائمًا في قياس الضغط وأخذ الأدوية، فكان يعتقد أنه لو تأخر في أخذ الدواء لمدة نصف ساعة سيموت. كان مُحبًا للحياة بشدة ويتبع كل تعليماتي، وكانت حالة قلبه مستقرة ولم يشعر طوال تلك الفترة بأي تعب. ومنذ أيام اتصل بي ودعاني لقضاء اليوم في الفيلا، ويا ليتني لم أوافق على قبول هذه الدعوة!

فقلتُ له سؤالي المعتاد: هل لاحظتَ أو سمعتَ أي شيءٍ مريب منذ ذهابك إلى الغرفة حتى انقطاع الكهرباء؟
فقال: لم أسمع شيئًا. وأكمل قائلًا: أنا لا أحمل أي ضغائن في قلبي تجاه صابر؛ بالعكس، أنا سامحته على كل ما صدر منه، وكنت أتعامل معه بصفاء نية. اليوم أشعر حقًا أنني فقدت صديقي وأخي الوحيد، وكل هدفي الآن هو الوقوف بجوار ابنته ومحاولة تعويضها ولو بجزءٍ صغير عن فقدان والدها.

فقلتُ له: حسنًا، شكرًا لك. أرجو منك أن تذهب إلى الداخل وترسل إليَّ مديرة المنزل.

دخلت نجاة باكية متأثرة بما حدث، فقلتُ لها: نجاة، أعلم أنه من الصعب اتهامك؛ فأنتِ ليس لديكِ أي مصلحة في قتل صابر، وأنتِ الوحيدة التي لم يتهمها حسين بقتله أو يذكرها، ولكنكِ قد تملكين معلومات تقربني من القاتل. لذلك أرجو منكِ مصارحتي بما تعرفينه.
قالت: سأقول لك كل شيء يا أستاذ كمال، لكن توعدني أن تقف بجانبي إذا حاول أحدهم إلصاق التهمة بي كما فعلوا مع حسين؛ من الواضح أنهم ينتقون الأضعف بينهم ليحملوه الجريمة، وإذا استطاع حسين إثبات براءته لهم فلن يكون أمامهم سوى الأضعف من حسين حتى لا يستطيع إثبات براءته، وبالطبع الأضعف من حسين هو أنا.
فقلتُ لها: أعدكِ أنني لن أترك أحدًا يتهمك بشيءٍ لم تفعليه، وسأكون بجانبك. لكن لا تخفي أي تفصيلة تعرفينها عني. فقالت: سأقول كل ما أعرفه.

فسألتها: منذ متى تعرفين صابر بيه وتعملين معه؟
قالت: منذ أكثر من ثمانية عشر عامًا.

قلتُ لها: هل يمكنك أن تحكي لي عن علاقة صابر بأنور وما لاحظتِه في الأيام الأخيرة بينهما؟

قالت: علاقة صابر بيه بالأستاذ أنور كانت دائمًا متوترة للغاية؛ فأنا لم أرهم يومًا كأخوين مثل أي إخوة، بل كانوا دائمَي الشجار على الميراث والأموال، ولم يكن يتدخل أحد بينهم ـ حتى حبيبة. ولكن منذ رجوع حبيبة من الخارج مع أبيها أصبحت تحاول دائمًا أن تصلح بينهما، لكن صابر بيه كان يرفض دائمًا. ورغم ذلك، لم يكن يقدر على رفض طلبٍ لحبيبة؛ فكان يحقق لها كل طلباتها حتى إنه استجاب لها في النهاية وبدأ التحدث مع أخيه، حتى إنه دعاه إلى حفل اليوم بإصرارٍ من حبيبة.

قلتُ لها: ألم تلاحظي أي شجارٍ بين صابر وأنور في الفترة الأخيرة؟

قالت: لا، لم ألاحظ ذلك؛ كلما حاول الأستاذ أنور التقرب من أخيه كان صابر بيه يقابله بالرفض والتجاهل.

قلتُ لها: حسنًا، بالنسبة لمنى، زوجة صابر، هل كنتِ معهم منذ زواجها من صابر أم لم تكوني تعملين في هذا الوقت معهم؟

قالت: أنا أعرف مدام مُنى رحمها الله قبل معرفتي بصابر بيه، فأنا كنت أعمل عند والدها، وبعد زواجها من صابر بيه لم تستطع الاستغناء عني

وأحضرتني معها، واستمررت معهم حتى توفيت، وعندما طلبت الرحيل تمسك بي صابر بيه من أجل حبيبة ولأنه كان يثق بي.

فقلت لها: هل ممكن تحكي لي طبيعة العلاقة بين صابر وزوجته قبل الانتحار؟

فقالت: الأستاذ صابر حين تقدم للزواج من مدام مُنى، كانت لا تعرفه، ولكنه بالنسبة إلى والدها ووالدتها عريس لا يُرفض بسبب نجاحه رغم صغر سنه، فوافقت مدام مُنى على الزواج منه؛ لأنه عريس مناسب، ليس أكثر. وكان يحقق لها كل ما تتمناه، مما جعلها تحبه وتتعلق به. ولكن بعد الزواج، تغير الحال تمامًا، فكانا دائمَي الشجار، وهي كانت طيبة القلب وحساسة للغاية، ومن حين لآخر كنت أسمع بعض المناوشات بينهما، وكان سببها جميعًا أنه دائم على خيانتها، حتى إنها في مرة من المرات هددته بأنها ستنتحر، ولكنه لم يكن يهتم بما تقوله. واليوم الذي انتحرت فيه كنت نائمة في غرفتي بالأسفل، وفي منتصف الليل سمعت صياح الأستاذ صابر أثناء مشاجرته مع مدام مُنى، وكانت المشادة بينهما هذه المرة أكبر من كل مرة، وفجأة سمعت صوت ارتطام قوي بالأرض، فقمت مفزوعة وخرجت مسرعة إلى الخارج، وتفاجأت بمدام مُنى ملقاة على الأرض وهي غارقة في دمائها، وأصابتني صدمة ولم أستطع التحرك من مكاني، حتى وجدت

الأستاذ صابر ينزل على الدرج الخاص بالفيلا مسرعًا وهو يقول في هلع: ماذا فعلتِ يا مجنونة، ماذا فعلتِ؟

وتقرب منها وحاول إسعافها ولكنها توفيت فور سقوطها، ولم يستطع أن يفعل أي شيء لإنقاذها.

وعندما حققت النيابة، قال صابر بيه إنها كانت دائمًا تهدده بالانتحار، وإنهم أثناء مشاجرتهم هذا اليوم، أسرعت إلى شرفة الغرفة وهددته بأنها ستلقي نفسها، وعندما حاول تهدئتها لتخرج من الشرفة، انزلقت قدماها وسقطت من فوق الشرفة، وهو أسرع بالنزول لمحاولة إسعافها، ولكنها سقطت على رأسها مباشرة، مما جعلها تموت في الحال.

وبعد وفاة مدام مُنى، أصيب كل من في المنزل بالاكتئاب، سواء حبيبة أو صابر بيه، وحتى جميع العاملين في المنزل كانوا في شدة حزنهم عليها، فالجميع كان يحبها، فهي كانت كالملاك. أما حبيبة، فظلت تبكي في غرفتها بشكل هستيري حتى فقدت النطق، فقام صابر بيه بإرسالها لمعالجتها بالخارج في إحدى المصحات النفسية في أوروبا، واستمرت هناك فترة حتى تحسنت حالتها النفسية، وبدأ يرجع لها النطق شيئًا فشيئًا، وعادت إلى المنزل بعد أكثر من أربع سنوات علاج كاملة، ولكنها لم تكن كما كانت، فكانت في حالة انطواء ووحدة دائمًا، وكان الأستاذ صابر يحاول دائمًا أن

يتحدث معها ويطمئنها أنه ما زال بجوارها، فكانت أمها كل شيء في حياتها كأي طفلة، ولكنني حاولت تعويضها عن أمها؛ لأني أحبها كابنتي، ولكنها كانت تفضل الانطواء على نفسها.

أما بالنسبة للأستاذ صابر، فكان دائمًا يكمل حياته بعد ذلك بشكل عادي، حتى أنني كنت كثيرًا ما أسمع محادثاته مع النساء، وتارة أسمعه يتحدث بصوت عالٍ ويهدد بعض الناس، ولكنه في النهاية كان طيب القلب ويعطف على من حوله. أما بالنسبة للدكتور عادل، فكان يزوره في الفترة الأخيرة كثيرًا، ولا أعلم السبب، ولكن كنت أسمعه يتحدث عنه مع حبيبة، ويقول إنه صديقه المقرب، وإنه يحبه ويعتبره أخاه الحقيقي، وإنه كان يتمنى أن يكون هو أخاه وليس الأستاذ أنور.

هذا كل ما أعرفه، صدقني.

فقلت لها: سؤال أخير، هل مدام مُنى كانت مصابة بأي مرض نفسي من قبل؟

فردت مسرعة: لا أبدًا، مدام مُنى كانت طبيعية جدًا، وكانت لا تعاني من أي مرض نفسي.

فأكملت قائلًا: حسنًا، منذ بداية الحفلة حتى مقتل صابر، هل لاحظتِ أي شيء غريب؟

فقالت: لا، لم ألاحظ أي شيء.

قلت لها: شكرًا لكِ، ولا تقلقي، سأقف بجانبك كما وعدتك. ومن فضلك أرسلي لي أنور.

دخل أنور وهو يبكي وفي حالة انهيار، ويقول لي: لا أصدق أن أخي الوحيد توفي، وأني أصبحت ليس لي ظهر وسند، وفي النهاية، من الذي قتله؟ واحد من الذين كان يعتبرهم أصدقاءه وإخوته بدلًا مني.

قلت له: أستاذ أنور، من فضلك تمالك نفسك وتفضل بالجلوس.

وبالفعل جلس أنور، ونظرت له قائلًا: نجاة وحسين أجمعوا أن هناك الكثير من الخلافات بينك وبين أخيك، وأنه كان دائمًا يقول إنك تتمنى قتله، وبالطبع، قتله الآن يجعلك من أكبر المستفيدين، فأنت الوريث الوحيد مع حبيبة، وبالتالي سيكون لك نصيب كبير في ثروة أخيك، كما أنك ستكون الوصي أيضًا على إرث حبيبة. يعني نستطيع القول إنك مستفيد من كل الجهات، فما قولك في ذلك؟

فأسرع بالرد قائلًا: حاشا لله! كيف أتمنى قتل أخي الوحيد؟ نعم، كنت أكره تصرفاته، ولكنه أخي، وليس لي أحد سواه، وأنا تغاضيت عن كل مشاكل الميراث حتى لا أخسر أخي. كنت فقط أريد منه أن يعطيني فرصة للعمل معه، لأثبت له ولائي ولتحسين دخلي، فأنا رجل يؤمن بالله، وأعلم دائمًا أن لكل منا نصيبًا في الدنيا، وأنا راضٍ دائمًا بنصيبي. وأنا اليوم فقدت أخي وسندي، وأعلم أنك ستشعر بالاستغراب عند سماع تلك الكلمات مني، ولكني كنت أحب أخي بطريقة لا تُصدق، وكنت آمل في النهاية أن يعلم كم أحبه وأقدره، حتى إنه كان دائمًا يتعمد إهانتي أمام الجميع، ولكني كنت دائمًا لا أرد على إهانته هذه، بل أتغاضى عنها، فكنت دائم المسامحة له، والاتصال به، رغم أنه كان دائم التهرب مني، ولكن حبيبة ابنته شعرت بمدى حبي لوالدها، وحاولت كثيرًا أن تقربنا من بعض حتى نجحت في أن تجعله يطلبني لأول مرة في حياته، ويدعوني أمس لقضاء اليوم معه في الفيلا، ولم أستطع الرفض، رغم تكلفة المواصلات الباهظة بالنسبة لي في الذهاب والعودة، فأنا كنت سأطير من السعادة والفرح من دعوته لي. فكيف أفكر أن أقتل أخي، وأنا أحبه لهذه الدرجة؟

وقال بصوتٍ باكي: كنت أريد فقط أن يعرف قبل وفاته كم أحبه، وكم كنت مستعدًا أن أفديه بأي شيء.

فقلت له: الآن أمامك ابنته حبيبة، حاول أن تكون لها الأب الذي فقدته.

قال: بالطبع، فأنا لن أتركها، وستعيش معي أنا وابنتي الوحيدة وزوجتي، وسأعتبرها أغلى من ابنتي. هي ليس لديها سواي الآن.

قلت له: أتمنى ذلك، وأرجو منك الذهاب للداخل وإرسال مهاب إليّ.

كان يبدو لي أنه صادق وواثق من كل شيء يقوله، فنظراته وحركاته لم تبدُ لي أبدًا غير صادقة، ولكن... هل هو فعلًا صادق في مشاعره تجاه أخيه، أم أنه فقط شخص يعرف جيدًا كيف يتحدث ويتصرف حتى يُبعد الشكوك حوله؟ فصراحة، هو أول شخص أراه يتحدث عن صابر بحب، فالباقي جعلني أشعر أن صابر هذا إنسان في هيئة شيطان.

دخل مهاب وهو يحمل نظرات الثقة والهدوء، وجلس على الأريكة قائلًا لي: تفضل يا أستاذ كمال، اسأل كما تريد، فأنا ليس لدي ما أخفيه.

فقلت له: اسمح لي أن أتكلم معك بكل صراحة، فأنا متابع جيد لك.

قال: هذا شيء يشرفني يا أستاذ كمال.

قلت له: دعني أكمل حديثي بعد إذنك.
قال: تفضل.

قلت له: أنا أتابعك منذ بدايتك، فكنت في بدايتك جريئًا للغاية، وتطرح مواضيع جريئة دون خوف من التحدث بها، وكل ذلك كان يجعل أصحاب القنوات الخاصة يتصارعون عليك، وهذا ما جعلك كل عام تقريبًا تنتقل من قناة فضائية إلى أخرى، فأنت كنت ضمان نجاح لأي قناة تذهب إليها، وكنت تعرف جيدًا كيف تجذب المشاهدين، وحتى الآن أنت الأعلى مشاهدة في برامج التوك شو. ولكن منذ انتقالك إلى قناة صابر الفضائية، وأنت مستمر بها عدة سنين على غير العادة، حتى إنك رفضت عروضًا كثيرة قُدمت لك، وأنا متأكد أن هذه العروض أعلى بكثير مما تحصل عليه في قناة صابر. فهذا بالنسبة لي لغز، وعكس عادتك التي تعودت عليها، ولذلك أريد منك تفسير: ما هو الشيء الذي يجعلك تتمسك بقناة صابر هكذا رغم العروض الأفضل؟

قال: ليس لغزًا ولا أي شيء، فالعمل مع صابر مريح للغاية، وهو يعطيني ما أستحقه، فلماذا أتركه في تلك اللحظة؟ وبرغم ما قاله، إلا أن حركاته وتصرفاته وملامح وجهه كانت تقول إنه كاذب وبشدة. ولذلك خطرت لي فكرة، فنظرت في عينيه قائلًا: ولكن هذا الكلام لا يتناسب مع ما قاله حسين عنك. فانفعل وقال في غضب: ماذا قال هذا القاتل عني؟ إنه كاذب!
قلت له: تحكم أنه كاذب قبل أن تسمع ما قاله؟
قال: أستاذ كمال، صارحني، ماذا قال عني؟ ماذا قال هذا القاتل عني؟

فنظرت له قائلًا: حسين قال إن صابر كان يهددك بشيء ما، وإنه سيقول ذلك أمام النيابة ويتهمك أنك قتلته لتتخلص من تهديده لك، وإن هاتف صابر يسجل المكالمات، وسيطلب هو تفريغها.

في تلك اللحظة انهار أمامي، وتبدلت نظرة الثقة والهدوء التي كان يدخل بهما إلى نظرة رعب وخوف، وقال بصوتٍ مُرتجف: أرجوك لا تسمح بذلك، أرجوك ساعدني، فأنا لي مستقبل لا أريده أن يتدمر، أرجوك ساعدني أستاذ كمال، فأنا أقسم لك أنني لم أقتله.

قلت له: سأساعدك، ولكن بشرط أن تصارحني بكل شيء، ولا تخفي أي شيء عن علاقتك بصابر، وأنا أعدك، إذا كنت صادقًا بريئًا، سأقف بجانبك.

قال: سأصارحك بكل شيء، ولكن عدني أن هذه الأسرار لن تخرج خارج هذه الغرفة.

قلت له: أعدك.

قال: بدأت علاقتي بصابر حين كنت أعمل في إحدى القنوات الفضائية، وكنت أشن حملة عليه بسبب استخدامه للخامات الرديئة في البناء، وحصلت على هذه المعلومات من منافسه توفيق، ولكن ليس بشكل مباشر حتى لا يظهر توفيق في الصورة. وعندما علم صابر عن المعلومات التي لدي، أراد مقابلتي، وقدم لي الهدايا لكي يستطيع شراء صمتي وأتوقف عن الحملة التي أشنها عليه وأقوم بدعمه في الانتخابات، ولكني رفضت ذلك بشدة.

ومرت فترة ليست بالكبيرة على ما حدث، وفي أحد الأيام ظهرت أمامي إحدى الفتيات العربيات شديدة الجمال، وأُعجبت بجمالها ورقتها بشدة. في هذه الفترة، كانت هناك الكثير من الخلافات بيني وبين زوجتي، وكنا قريبين من الانفصال، وظهرت الفتاة أمامي في هذا الوقت، حيث جاءت في أكثر أوقات ضعفي، وتعرفت عليها، حتى إننا قمنا بترتيب لقاء في الفيلا التي تستأجرها حتى لا يراني أحد معها في الخارج، فأنا مذيع مشهور، والجميع يعرفني.

وبالفعل تم اللقاء بيننا، ولكن حدثت بيننا علاقة، ولكني ندمت بعدها بشدة خوفًا من الله، وقررت أن أبتعد عنها تمامًا. وبالفعل تهربت منها بعد ذلك وقطعت علاقتي تمامًا، فأنا لست معتادًا على فعل هذه الأشياء، وكانت المرة الأولى والأخيرة لي، فأنا لم أخن زوجتي أبدًا طيلة فترة زواجنا الذي استمر أكثر من عشرة أعوام، ولذلك شعرت بالاشمئزاز من نفسي، وبالفعل ابتعدت عن هذه الفتاة تمامًا.

ولكن بعد شهر تقريبًا، وجدت عدة فيديوهات أُرسلت لي من رقم مجهول، تحتوي على اليوم المشؤوم الذي ارتكبت فيه هذا الفعل المشين، من أول دخولي الفيلا حتى خروجي منها، واتضح أن الفيلا مليئة بالكاميرات في جميع الأركان، حتى الغرف، وكانت مع هذه الفيديوهات رسالة مكتوب بها: أنا صديقك، وبذلت الكثير لحمايتك من نشر هذا الفيديو.

وعندها شعرت أن روحي تخرج من جسدي، وقمت بالاتصال بهذا الرقم، ولكنه كان مغلقًا، وحينها شعرت أن كل ثانية تمر أموت فيها وأحيا من جديد، فهذه الفيديوهات إذا نُشرت ستكون كفيلة بهدم أسرتي وفضيحتي وفضيحة أولادي الصغار بين زملائهم، فهي وصمة عار كفيلة بالقضاء على مستقبلي ومستقبل أسرتي. فكيف سأواجه الناس؟

واستمر هذا الوضع عدة أيام بشدة، فأصبحت لا أنام تقريبًا، حتى جاءتني رسالة أخرى من نفس الرقم يقول فيها: قابلني اليوم الساعة الخامسة في هذا العنوان.

وبالفعل ذهبت في الميعاد المحدد، وتفاجأت بصابر، هو من يفتح لي الباب، وقال لي: أهلًا مهاب، المذيع اللامع!

قلت له: هل أنت؟ ماذا تريد مني؟ وكيف حصلت على هذه الفيديوهات؟

قال لي: أنا افتديتك بملايين يا مهاب كي أحصل على تلك الفيديوهات وأمنع فضيحتك، فأنا أحبك. فهذه الفتاة كانت تريد أن تبيع تلك الفيديوهات لمن يدفع أكثر، وأنت تعلم أنك لك الكثير من الأعداء الذين يتمنون تدميرك، ولكن أنا لم أسمح بذلك، ودفعت لها مليون دولار كي تعطيني هذه الفيديوهات.

قلت له: حسنًا، اعتبر أن هذا دين في رقبتي، سأعطيك إياه، ولكن أرجو منك إعطائي بعض الوقت، فهذا مبلغ كبير، وليس من السهل تدبيره في يوم وليلة.

قال لي: هذا المبلغ هدية مني لك.

قلت له: آسف، لا أقبل مثل هذه الهدايا، وأنت تعلم هذا جيدًا، وفي أقرب وقت سيكون المبلغ عندك.

فضحك باستهزاء، قال لي: يا مهاب، أنا تاجر، والتاجر لا يدفع مليونًا كي يأخذ مليونًا.

قلت له: ماذا تريد بالضبط؟

قال: هذا المبلغ اعتبره هدية تعاقد، فأنا سأقوم بفتح قناة فضائية، وأريدك معي، وستكون أيضًا مدير الحملة الانتخابية الخاصة بي، وسأعطيك ضعف ما تحصل عليه، وهذا عرضي لك. غير ذلك، يصبح ما دفعته خسارة لي، وأنا لا أخسر أبدًا، فسأقوم ببيع الفيديو لمن يدفع أكثر، لأضمن مكسبِي من جانب، ومن جانب آخر سأدمر مستقبلك، وبالتالي ستتوقف حملتك التي تشنها عليَّ في برنامجك، يعني سأكسب من كل الجوانب. فما رأيك؟

ولأول مرة أشعر أنني مكتوف الأيدي، لا أستطيع فعل شيء سوى الخضوع والموافقة. ومنذ ذلك الحين، وأنا أعمل معه في القناة، وبالفعل هو يعطيني من المال فوق ما أستحق.

ولا أكذب عليك، حاولت كثيرًا التحدث معه ليعطيني الهارد الأصلي للكاميرات المسجل عليه الفيديوهات الخاصة بي، ولكنه كان دائم الرفض، حتى إنني كنت على استعداد لفعل أي شيء للحصول على ذلك الهارد، ولكن لم يُجدِ ذلك بشيء.

حتى إنني في إحدى المرات قمت باستئجار أحد الهاكرز المشهورين، وطلبت منه أن يخترق لي هاتف صابر واللاب توب الخاص به، كي أحاول أن أحصل على أي شيء أهدده به وأساومه للحصول على فيديوهاتي، ولكنه كان يمتلك نظام حماية جبار، حين حاول اختراقه تمكن من معرفة المخترق ومكانه، حتى إنه أرسل أحد رجاله للإمساك به، وبالفعل تمكن من إمساكه، واعترف المخترق أنني من طلبت منه ذلك.

وهنا تحدث معي صابر بحدة كبيرة، وأقسم لي أنه إذا حاولت فعل ذلك مرة أخرى، سيقوم هو بنشر الفيديوهات وسيدمر مستقبلي، ووعدته بعدها أنني لن أكرر ذلك، وانتهى الموضوع هنا. وبعد أسبوع، اتصل بي ليدعوني لحفلة اليوم، هذا هو كل شيء، أقسم لك بذلك.

فنظرت له في شك قائلًا: إذًا يا مهاب، جئت إلى الحفلة، وانتظرت الوقت المناسب، وقمت بقتله حتى تتخلص من التهديد وتعيش حياتك كما تريد؟ صارحني يا مهاب، فأي شخص في مكانك سيفعل ذلك حتى يستعيد حريته، أنا متفهم.

فقال لي: أقسم لك أنني لم أقتله، فبالرغم من أني حاولت الحصول على الفيديوهات للتخلص منها، ولكن صابر كصاحب عمل رائع للغاية معي، فهو يعطيني أجرًا أكثر مما أحلم، وفي حالة دخوله البرلمان كنت سأحصل على صلاحيات معه بصفتي مدير حملته ومستشاره الإعلامي.

ومحاولتي الأخيرة لاختراق هاتفه وجهاز الكمبيوتر الخاص به كانت بهدف أنني لا أريد فقط أن أتخلص من تهديده، فلا أحد يحب أن يبقى تحت التهديد، ولو كنت نجحت في ذلك، كنت سأستمر بالعمل معه. وبوفاته، أنا أشعر بالقلق أكثر؛ لأنني ليس لدي علم بمكان الفيديوهات ومن ستقع بيده وماذا سيفعل بها.

قلت له: ألم تلاحظ أي شيء غريب خلال الحفلة؟

قال: لا، لم ألاحظ أي شيء، ولكن أريد أن أعلمك أنه في الفترة الأخيرة، كان الصدام دائمًا بين صابر وتوفيق على كل شيء، ولا أستبعد أنه الفاعل.

قلت له: هذا اتهام خطير.

قال: من عشرتي لصابر وفهمي لتوفيق، هؤلاء لا يمتلكون أي عواطف، ويتخلصون من أي شيء قد يعرقلهم عن تحقيق أهدافهم.

قلت له: شكرًا لك، أرجو منك الرجوع إلى الداخل وإرسال توفيق لي. وبالفعل، بعد عدة دقائق، دخل توفيق ويعلو ملامح وجهه القلق والتوتر، وكان يحاول جاهدًا تصنع ملامح الحزن، لكنه فشل؛ لأنه لا يجيد التمثيل.

فنظرت له قائلًا: يا حاج توفيق، حسين قال إن هناك صراعات وخلافات كبيرة بينك أنت وصابر، وآخر الصراعات التي بينكما هو الحصول على عضوية البرلمان، وأن قتل صابر سيخدمك بشكل كبير في امتلاك السوق

وفرض سيطرتك عليه، وأيضًا الحصول على عضوية البرلمان بكل سهولة، فهو كان المنافس الوحيد أمامك. وقبل إنهاء حديثي، قاطعني بانفعال قائلًا: كذب، كل هذا كذب! صابر مثل أخي ولم أقتله.

قلت له: من فضلك دعني أكمل حديثي. مهاب، مدير الحملة الانتخابية الخاصة بصابر، قال أيضًا إن في الفترة الأخيرة ازداد الصراع بينكما، وكنتما دائمَي الخلاف بشكل كبير، وكل منكما كان يهدد الآخر، وهذا دافع كبير للقتل وتوجيه الاتهام لك، وأنت رجل مرشح الآن لعضوية مجلس النواب، ولا تريد التشويش على سمعتك وعلى اسمك، واتهامك في مثل هذه القضية كفيل بتقليل فرصة نجاحك في الانتخابات، مهما كان معك أسطول من المحامين الكبار، فخبر اتهامهم لك بقتل صابر كفيل أن ينتشر كانتشار النار في الهشيم، فأرجوك ساعدني كما أنك ستساعد نفسك؛ لأنه إذا لم أكتشف القاتل وأسلمه للعدالة، غدًا ستكون أنت أكثر المتضررين باتهامك بالقتل.

(في هذه اللحظة قررت خداعه) الجميع ليس لهم أي دافع لقتل صابر، بالعكس، كلهم أصدقاؤه، حتى حسين لا يمتلك أي دافع، فهي ليست أول مرة يطرده صابر أو يهينه بهذه الطريقة، فهو وصابر دائمَي التعود على ذلك،

وبالعكس، أنت سيشهد الجميع ضدك، منهم مهاب وحسين، وستكون الدلائل جميعها ضدك، مما سيصعب موقفك أمام النيابة.

لذا أرجو منك أن تكون صريحًا معي، وأعدك، إذا كنت بريئًا، لن أجعل شيئًا يمس سمعتك، وهذا وعد شرف مني.

فقال لي: حسنًا، سأحكي لك كل شيء، وفي النهاية سوف تعلم أني لا أستطيع أن أقتل صابر.

بدأت علاقتي بصابر عندما جاء إلى القاهرة بعد وفاة والده، وكنت أمتلك شركة صغيرة لاستيراد الإلكترونيات، وتعرفت عليه من خلال أحد أصدقائنا المشتركين، وتحدثنا سويًا، ووجدنا أفكارنا متقاربة للغاية كأننا نكمل بعضنا البعض، وحينها عرض عليَّ تكبير الشركة، ونقوم باستيراد كميات أكبر، وبالتالي نحصل على خصومات أكبر ومكاسب أعلى، وبالفعل خلال شهور أصبحنا أكبر شركة للاستيراد وتوزيع الإلكترونيات في مصر.

وحينها اقترح صابر أن نستثمر أيضًا في العقارات، فهو يمتلك خبرة كبيرة فيها منذ أن كان يعمل مع والده، وبالفعل قمنا بعمل شركة بناء وتشييد عقاري، وأنشأنا كمباوند سكني خاص فقط بالفلل على النظام الأوروبي، وكان حديث الصفوة والأغنياء، وكانوا يتصارعون للشراء فيه.

وبعد ذلك قمنا بشراء أراضٍ كثيرة لبناء عدة أبراج سكنية، واتفق معي أن أرباح تجارتنا نستثمرها في زيادة مشاريعنا وتوسيع تجارتنا لمدة خمس سنوات، وخلال هذه المدة يحصل كل منا على راتب بسيط مثل أي موظف داخل الشركة لكي يستطيع كل منا أن يصرف على أسرته ويدبر احتياجاته، وبعد انتهاء الخمس سنوات، كل منا يأخذ نسبته من الأرباح ويفعل بها كما يشاء.

وبالفعل وافقت صابر على ذلك، فأنا كنت أثق جدًا في ذكائه في الاستثمار والعمل. ولكن في السنة الرابعة، أُصيبت زوجتي بمرض نادر، وكانت حالتها خطيرة، وأنا كنت وما زلت أعشق زوجتي، وكنت على استعداد للقيام بأي شيء حتى أستطيع علاجها.

(أثناء حديثه عن زوجته دخل في نوبة بكاء كبيرة)

قلت له: أرجوك تمالك أعصابك وأكمل لي.

قال: كانت تكلفة علاجها باهظة للغاية، فذهبت إلى صابر وقلت له: أنا أريد أن أصفي كل شيء وأذهب مع زوجتي للخارج لعلاجها.

قال: ليس لدي مانع، ولكن كما تعلم، هناك شرط بيننا، أنه إذا قرر أحدنا بيع نصيبه، فلا بد أن يوافق الطرف الآخر على المشتري ويوقع على العقد.

وبالفعل، قمت بإحضار الكثيرين ليشتروا نصيبي في الشركات والأراضي، ولكن كان دائم التحجج بأي سبب للرفض، وظل يماطل في الوقت حتى أصابني اليأس، وكانت حالة زوجتي في تلك الفترة تتدهور بشكل سريع، فالوقت لم يكن في صالحها، وكان لا بد من سرعة السفر.

واستغل صابر لهفتي على البيع بسرعة، وعرض عليَّ أن يشتري نصيبي بثمن بخس، ولم يكن أمامي سوى الموافقة، وبالفعل اشترى نصيبي بثمن لا يُعادل ربع ما يستحق، وقمت بتجهيز أوراقي أنا وزوجتي للسفر، ولكن كان الموت أسرع مني، فاشتد عليها المرض بشكل كبير، ولم ألحق بعلاجها، وتوفيت قبل السفر بيومين.

حزنت كثيرًا، حتى أنني أُصبت بفترة طويلة بالاكتئاب، ولكني قررت الانتقام من صابر، فلو كان تركني أبيع نصيبي أسرع من ذلك، كان من الممكن إنقاذها وعلاجها، ولكنه أبدى مصلحته على حساب إنسانة تموت.

وبالفعل، حاولت أن أستثمر ما بقي لدي من أموال في مجال العقارات، وقمت بإنشاء أول شركة لي، وتلقيت حينها عروضًا كثيرة من التجار الذين لديهم رغبة في استثمار أموالهم؛ لأنهم يثقون بي كثيرًا، وكأن الله كان يسخر لي عباده حتى أستطيع الوقوف على قدمي مرة أخرى، وبالفعل وضعت أموالهم على أموالي، وخلال سنوات معدودة أصبحت أناطح صابر في جميع

المجالات: العقارات، والقنوات الفضائية، والسيارات، والإلكترونيات ندًا بند.

وكان يراودني منذ الصغر حلم عضوية مجلس النواب، وحينها شعرت أنه حان الوقت لأخذ هذه الخطوة، وبالفعل أعلنت ترشحي وبدأت حملة الدعاية للانتخابات، لأتفاجأ بصابر يعلن ترشحه أيضًا، وبدأ بدعاية قوية جدًا، وكأنه يعلن لي التحدي بشكل مباشر على نفس المقعد في نفس الدائرة، مع أنه يستطيع أن يترشح في بلدته في الشرقية، ولكنه قرر أن يتحداني.

وبالتالي، قمت بالحصول على توكيل السيارات الذي كان صابر يحلم بالحصول عليه، وظل يحاول لأكثر من سنتين، وهذا جعله يشتاط غضبًا، حتى الأسبوع الماضي تفاجأت باتصال هاتفي منه يتحدث معي، ويقول لي إنه ما زال يعتبرني صديقه، وأنه يحبني مثل أخ، وأنه حزن كثيرًا على موت زوجتي، وقال إنه لم يكن سببًا في وفاتها، بل إنه كان من الصعب إيجاد مشترٍ يناسب فكره ويجعله يُكمل نجاحه، وأنه وضع كل ما يملك أيضًا في هذه الشركة، وأنه لم يكن يقصد أن يشتري نصيبي بهذا المبلغ الضئيل، ولكنه كان ما يملكه في هذا الوقت، وأقسم لي بذلك.

وقال إنه كان يعلم أنني أقوم بإرسال المستندات التي تدينه لمهاب لكي يهاجمني في الإعلام، وأنه يسامحني على ذلك، وأنه يريد أن يعرض عليَّ عرضًا، إذا كنت أرغب أنا الآخر في أن نفتح صفحة جديدة ونتناسى كل ما سبق.

قلت له: حسنًا، وما هو عرضك؟

قال: إنه سينسحب من الانتخابات أمامي، وبالعكس، سيكون داعمًا لي، وسيقف في ظهري حتى أحصل عليها، وأنه سيترشح في دائرته في الشرقية، وفي المقابل، سأتنازل أنا عن توكيل السيارات له، وطلب مني الحضور إلى الحفلة الصغيرة التي يقيمها في فيلته الجديدة، وأصر على حضوري حتى نُزيل أي عداوة كانت بيننا، وليعلم الجميع أننا رفعنا راية السلام بين بعضنا البعض، وعندما يرحل الجميع، نسهر سويًا كالأيام الخوالي، ونرجع صديقين كما كنا.

فقلت له: حسنًا، أعطني فرصة لأفكر في هذا العرض. وبالفعل، فكرت في كل كلامه ووجدته منطقيًا إلى حد كبير، كما أنني كانت لدي رغبة في إنهاء الصراعات بيني وبين أي شخص كان، فالعمر تقدم بي، ولم أجد أن تلك الصراعات أضافت لحياتي شيئًا سوى الإجهاد النفسي.

ورأيت أن العرض الذي قدمه صابر له الاستفادة الأكبر لي، وهي تحقيق حلمي في أن أكون عضوًا في البرلمان، خاصة وأن توكيل السيارات لم أحصل عليه رغبة فيه، بل كان مجرد كيد في صابر ردًا على ترشحه أمامي، ليس أكثر.

وفي النهاية، أريد أن أقول لك شيئًا أخيرًا: إنني لست صافي القلب تجاه صابر حتى الآن، فالصفقة التي خسرها اليوم كنت سببًا في خسارته لها، ولكن هذه الخطة كانت قبل مكالمة صابر لي بفترة من الوقت. وبهذا، فقد أخبرتك بكل شيء ولم أُخفِ أي تفصيلة عنك.

فقلت له: سؤال أخير، عندما ذهبت إلى غرفتك، ألم تسمع أو تلاحظ أي شيء؟

فقال: لا، لم ألاحظ أي شيء، كان اليوم طبيعيًا، حتى انقطع التيار.

قلت له: شكرًا لك، أنا أنهيت كلامي.

وبالفعل قمنا وتوجهت معه إلى الفيلا حتى أقوم بالاطمئنان على حبيبة، وعندما دخلت القصر، وجدتهم جميعًا يجلسون، وعندما رأوني قاموا مفزوعين يسألونني عن القاتل، ولكن عيناي لم تكن تراهُم، بل كانت تبحث عن حبيبة، وعندما لم أرها بينهم، سألت مديرة المنزل: أين حبيبة؟

فقالت: إنها شعرت بالتعب، وانتابتها حالة من ضيق التنفس، فقمت بمساعدتها حتى أوصلتها إلى غرفتها، وأعطيتها دواءها، وطلبت مني الخروج حتى ترتاح قليلًا، وطلبت مني أن أصعد إليها عندما تنتهي حضرتك من التحقيق.

وبالفعل، اتجهت نجاة إلى غرفة حبيبة، وبعد مرور دقيقة تقريبًا، سمعت صوت صراخ نجاة، فصعدت سريعًا، لأجد حبيبة ملقاة على الأرض غارقة في دمائها، حيث كان هناك جرح في معصمها يدل على محاولة انتحار.

فأسرع الدكتور عادل لإسعافها، وقام بربط الجرح سريعًا، واستطاع إيقاف النزيف قبل أن يزداد؛ لأنه كان سطحيًا، وقامت نجاة بإحضار العصائر لها لكي تعوض حبيبة ما فقدته من دم، وكان جميع الموجودين في حالة هرج ومرج، وكان لا يشغلني سوى الاطمئنان على حبيبة ومحاولة تهدئتها، قائلًا لها: جميعنا بجوارك يا حبيبتي ولن نتركك.

فنظرت لي والدموع تنهمر من عينيها، قائلة: والدي كان كل شيء بالنسبة لي.

قلت لها: هدئي من روعك ودعي الأمر إلى الله، وأعدك إن شاء الله أني سأجد القاتل.

وحينها وجدت حسين يقول لي: أستاذ كمال، هل عرفت القاتل؟

لأجد أنور يقول لي: صحيح يا أستاذ كمال، أنت انتهيت من التحقيق معنا جميعًا، فهل عرفت من هو قاتل أخي؟

قال لهم: صبرًا يا سادة، سأذهب إلى غرفة التحقيق بمفردي الآن، فأنا أحتاج أن أفكر بهدوء أكثر حتى لا أتسبب في ظلم أحد. وبالفعل رجعتُ إلى غرفة التحقيق، وأحضرتُ الأجندة الخاصة بي، ودونتُ كل ما قاله الموجودون أثناء التحقيق معهم؛ ففي هذه القضية بالذات لا ينفع أبدًا التدوين أثناء التحقيق؛ لأن عيني وكل تركيزي يجب أن يكونا مع المتحدث أمامي حتى أتابع ملامح وجهه وتصرفاته وحركات جسده مقارنةً بكلامه. لذلك كان عليَّ أن أعتمد على ذاكرتي في الكتابة بعد التحقيق؛ فأنا رغم سني أمتلك ذاكرةً كبيرةً يحسدونني عليها.

وجدتُ أن كُلًا منهم لديه دافعٌ ورغبةٌ قويةٌ لقتله. اليوم، وبعد ما سمعته، تفاجأتُ بأنني أمام إنسان لا يستحق لقب الإنسانية إطلاقًا؛ بل هو شيطان في صورة إنسان، كما أنه يمتلك من الجرأة ما يجعله، بكل بساطة، يجمع كل أعدائه حوله، وكان يرغب في فض جميع المشاحنات التي كانت بينهم وبينه. فلنفترض أن صابر فعلًا كان يرغب في إنهاء جميع المشاحنات؛ فكيف وثِق أنهم يملكون هذه الرغبة أيضًا؟ فليس معروفًا عن صابر أنه

شديد الغباء هكذا؛ لكن يمكنني القول إنه بلغ مرحلةً من الثقة بنفسه جعلته يظن أن أحدًا لن يقدر على إيذائه، أي إن ثقته الشديدة بنفسه جعلته غبيًا. لقد تسبب في إيذاء وابتزاز جميع الموجودين، وكان ينتظر منهم ألا يحملوا أي ضغينةٍ تجاهه! حقًا يا صابر، لقد صعبتَ مهمتي في كشف قاتلك كثيرًا؛ فأنا أرى أن الجميع له يدٌ في قتلك، وأرى أيضًا أنهم محقون في ذلك.

دونتُ أيضًا عدة ملاحظاتٍ هامة وأسئلة غامضة بالنسبة إليّ، وهي: لماذا يستخدم القاتل مسدسًا كهربائيًا؟ فهو نادر ولا يُستَخدم كثيرًا في مصر؛ فكان من الأسهل أن يستخدم أي وسيلةٍ أخرى. وهل تخلص من المسدس أم ما زال بحوزته؟

خرجتُ مسرعًا، وتوجهتُ داخل القصر، وطلبتُ تفتيش جميع الغرف، بما فيها غرفتي، في حضور الموجودين. وبالفعل بدأتُ التفتيش، وفي النهاية تأكدتُ من ظنوني؛ فقد وجدتُ المسدس الكهربائي في غرفة أنور، أخي صابر. حينها أصيب أنور بالذهول، وظل يكرر: لا! أنا لم أقتله... أأقتل أخي؟ كيف؟ ولماذا؟

فقال حسين: هل أمسكه يا أستاذ كمال وأربطه بالحبال كي لا يهرب؟

وقالت حبيبة باكيةً بحسرة: لماذا يا عمي تقتل أبي؟ ماذا فعل لك؟ فنظرتُ

إليهم قائلًا بصوتٍ عالٍ: أنور لم يقتل صابر. فبدوا جميعًا في حالة ذهول.
أكملتُ كلامي: أرجو منكم جميعًا النزول إلى الأسفل وسأشرح لكم كل شيء، وكيف قُتل صابر. وبالفعل نزل الجميع، وطلبتُ منهم الجلوس، ووقفتُ أمامهم قائلًا: أتريدون معرفة القاتل؟
قالوا بصوتٍ واحد: نعم. قلتُ وأنا أنظر إليهم: القاتل هي حبيبة.

نظروا إليَّ مبهوتين تكاد عيونهم تخرج من أماكنها من هول ما سمعوا.
تقدم حسين قائلًا: هل أنت مجنون؟ هل تريد اتهام أي أحدٍ فقط لإغلاق القضية؟
أما نَجاة فنظرت إليَّ في ذهول قائلةً: يا أستاذ كمال، هل يُعقَل أن هذا الوجه البريء يجرح حشرةً حتى؟ ماذا تقول؟
وقال توفيق: هذه الصغيرة التي مثل كف اليد تقتل أباها؟ تكلم بعقلانية يا أستاذ كمال كي نصدقك.
أما الدكتور عادل فلم ينطق حرفًا، بل استمر في التحديق بي.
وقال أنور: ماذا تقول يا أستاذ كمال؟ أين دليلك؟ تكلم بشكل منطقي.
وحبيبة نظرت إليَّ بعيون دامعة وصوت باكٍ قائلةً: أنا أقتل والدي، الذي ليس لي أحدٌ سواه؟ كيف أفعل ذلك؟ أنت خاطئ وكاذب.
ثم وقعت على الأرض مدعية الإغماء، فأسرعت نَجاة لإنعاشها.

قلتُ: سأكشفكِ الآن يا ملاكي المزيف، لكنها تابعت تمثيلها. تجاهلتها، وقررتُ الحديث دون النظر إليها، قائلًا بثقة: سأشرح لكم كيف تمت الجريمة. أول شيء فعلته حبيبة هو استغلال علاقتها بوالدها وضعفه أمام طلباتها بسبب حالتها النفسية، وضغطت عليه كثيرًا حتى يدعو أخاه، الذي بينه وبين صابر خلافاتٌ عديدة (كما قال حسين وأنور أنفسهما إن الدعوة جاءت بطلبٍ منها). فأكد أنور وحسين معًا: نعم، هذا ما حدث.

قلتُ: حسنًا. بعد وفاة صابر، سيكون شريكها في الميراث والوصي عليها هو أنور؛ وبالتالي فإن أنور هنا هو المستفيد الأكبر من وفاة صابر، ما يسهل توجيه الجريمة إليه. وما يؤكد كلامي هو وجود سلاح الجريمة في غرفة أنور لا في غرفة أي منا، وهذا أولًا.

ثانيًا، هذا النوع من السلاح الكهربائي غالي الثمن، ولا يوجد مثله في مصر؛ فهو متاح في الدول الأوروبية ويأتي مهربًا، ويستخدم النيتروجين المضغوط. فهل يستطيع أنور، بإمكاناته، السفرَ وشراء مثل هذا السلاح؟ اعذرني يا أستاذ أنور، فأنت حين دُعيتَ إلى هنا كنت تحمل هم مصاريف المواصلات كما قلتَ لي أثناء التحقيق؛ فكيف يمتلك مثل هذا السلاح؟ وإنْ أراد قتلَه، فليس ضروريًا أن يتحمل هذا المبلغ الكبير؛ كان يمكنه استخدام

سكين، فهو قوي البنية وطويل القامة، ولو أراد الفتك بصابر لفعل ذلك بسهولة.

أنور جاء إلى هذه الفيلا لأول مرة، ولم يكن يعرف أن الكاميرات معطلة إلا صابر وحسين وطبعًا حبيبة، التي أجزم أنها هي من عطلتها؛ فهي تستطيع الوصول إلى لوحات الكاميرات وتعطيلها بسهولة دون لفت الانتباه. أما أنور، فبشهادة الحاضرين، ظل في مكانه لا يتحدث مع أحد. كما أنه لا يعرف مكان لوحة الكهرباء؛ فلا يعرفها إلا من جاء هنا عدة مرات، وهم حبيبة وصابر. إذن، أنور لم يأتِ هنا قبل هذا اليوم، وكذلك باقي الحاضرين.

وأثناء حديثي فوجئنا جميعًا بحبيبة تصحو من إغمائها المزيف وتقف أمامي قائلةً: أنت تهذي! لا دليل على كلامك، وعمي هو القاتل وأنت تريد التستر عليه. قلتُ لها: اصمتي حتى أنتهي؛ سأُثبِت للجميع كل شيء يا ملاكي المزيف.

أكملتُ: حبيبة أمام الجميع تدعي البراءة والسذاجة والطيبة، لكنها كانت تخطط للجريمة منذ زمن بعيد.

ثالثًا، هذا السلاح الكهربائي عادةً لا يسبب توقف القلب أو الوفاة إلا نادرًا، لكنه يقتل فورًا الأشخاص الذين يعانون مشاكل قلبية، مثل وجود جهاز

لتنظيم ضربات القلب.. ثم نظرتُ إلى حبيبة بخبث، وتقدمت إلى الدكتور عادل قائلًا: أريد أن أسألك يا دكتور عادل: إن كان شخصٌ يركب جهازًا في قلبه مثل صابر وتعرض لصعقة كهربائية مباشرةً على القلب، ماذا سيحدث؟

قال: سيتوفى في الحال.

قلتُ: حسنًا. هل كان أنور يعلم أن صابر يعاني مشكلة في قلبه؟

قال: لا.

قلتُ: إذن من كان يعلم؟

قال: أنا وصابر رحمه الله، وبالطبع حبيبة. عندها وجهتُ نظري إليها مجددًا، ولمحتُ في عينيها بوادر الانهيار.

قلتُ: إذا لم يعلم أحد بتركيب صابر لهذا الجهاز سوى أنتِ والدكتور عادل، وبما أن دكتور عادل لا مصلحة له في قتل والدك، وأيضًا لديه ما يبعده عن الاتهام كأنور، فلا أمامي إلا أنتِ يا حبيبة. أنتِ فعلتِ الآتي: انتظرتِ موعد دواء والدك في منتصف الليل، وكنتِ تعلمين جيدًا أنه مصاب بالوسواس ومنتظم في مواعيد علاجه (حسب ما قاله لي د. عادل). دخلتِ عليه الغرفة قبيل موعد الدواء بدقائق، وبقيتِ معه حتى حان الموعد. وعندما ذهب إلى الحمام؛ تبعتِه، وأطلقتِ طلقتين من المسدس الكهربائي على صدره مباشرة، ما أدى إلى اختلال توازنه وسقوطه وارتطام رأسه بحوض الحمام.

وأنتِ تعلمين أنه سيتوفى فورًا. بقيتِ معه فترةً حتى تأكدتِ من وفاته، ثم خرجتِ بسرعةٍ إلى لوحة الكهرباء، وأسقطتِ قاطع التيار، وبعدها عدتِ إلى غرفتك مستغلةً الظلام ليستحيل على أحدٍ رؤيتك، ثم ظهرتِ مع الجميع طبيعيةً حين خرجوا من غرفهم. الكاميرات كانت معطلة، ومن الصعب أن يراك أحد.

خطتك كانت اتهام أنور بقتل صابر؛ لأنك لا تعرفين الكثير عن علاقته ببقية الحاضرين، كما أن تورط أنور يحرمه من الميراث، فترثين أنتِ وحدك. الجميع يعلم أن القاتل لا يرث. لذا وضعتِ المسدس في حقيبته دون أن يلاحظ. وعندما تأتي الشرطة غدًا وتفتش، تجد المسدس في غرفته فيصبح المتهم الأول. لكن حين تطوعتُ للتحقيق، قررتِ إيهامي بأنور، فقلتِ إن الصراع بينه وبين والدك بلغ حد التهديد بالقتل.

ولكي تضعي المسدس في غرفة أنور، ادعيتِ المرض لتتناولي علاجك، وطلبتِ من نجاة تركك بمفردك. وبعد خروجها، ذهبتِ إلى غرفة أنور، ووضعتِ المسدس في حقيبته، بعد أن مسحتِ بصماتك عنه. ثم عدتِ إلى غرفتك وجرحتِ معصمك جرحًا بسيطًا يسهل على د. عادل إيقافه، كي تستعطفي القلوب ونستبعد فكرة أنك المدبرة.

ما جعلني أبدأ الشك فيك هو إصرارك هذه المرة على دعوة عمك رغم الخلاف. كذلك يوجد سر في مقتل والدتك لا أعلمه، لكنه جعلك تعانين خللًا نفسيًا وأُدخلتِ مصحةً بالخارج. والمسدس الكهربائي منتشر جدًا هناك، وبالتأكيد تعلمتِ طريقة استخدامه.

نظرَت إليَّ حبيبة بنظرةٍ مملوءةٍ حقدًا وكرهًا، صائحةً: كل هذا ليس دليلًا قويًا. هذه ادعاءات كاذبة من مؤلفٍ يملك خيالًا خصبًا. قلتُ لها بثقة: إليكِ الدليل القوي الذي تريدينه. أنا دائمًا أتوقع من القاتل أن يترك أثرًا ما، ودائمًا أجده.

توجهتُ مع الحاضرين إلى غرفتها، وفتشناها. وجدنا قفازاتٍ مقطعة في سلة المهملات. لم يخطر ببالها التخلص منها؛ وثقت أن أحدًا لن يشك. وعندما سألتُها عنها قالت بثباتٍ: هذا ليس دليلًا. قلتُ: معك حق.
ثم فتشتُ هاتفها المقفل ببصمة الإصبع، فطلبتُ من أنور تقييدها، وهي تصرخ: ماذا تفعل يا عمي؟ صدقني، لم أقتل والدي!. فتحتُ الهاتف، فوجدتُ مفاجأة: مذكراتها، إذ هي من النوع الذي لا يكتب على الورق خشية وقوعه بيد أحد. الهاتف مؤمنٌ ضد السرقة، ويمكن إقفاله عن بُعد. واجهتُها بكل ما دونته، بحضور الشهود على أن هذا هاتفها، وأثر تقطيع القفازات.

عندها انهارت باكيةً: هو يستحق القتل؛ هو قاتل أمي. حرمني منها ولا يستحق أن يعيش لحظة واحدة. لم أندم؛ بل تأخرتُ! لقد خدع الجميع وأوهمهم أن أمي انتحرت....

وروت أنها، وهي طفلة، سمعت شجار والديها، ورأت أباها يدفع أمها من الشرفة بعد أن كتم صراخها بيده، ثم لفق قصة الانتحار وزور أوراقًا طبية. صُدمت لسنوات، وفقدت النطق، فأرسلها والدها إلى مصحةٍ في نيويورك. هناك تعرفت على إيميلي، التي أحبت الدماء وكانت تعذب الحيوانات، وحصلت على صاعق كهربائي وإبرة القتل الرحيم بمساعدة حارس الأمن. اعترفت لها إيميلي بقتل فتاةٍ في المصحة. روت لها حبيبة قصة أمها، وتعاهدتا على الانتقام. بعد خروجهما ظلتا على تواصل، وهربت إيميلي المسدس إلى مصر عبر صديقة. حولت حبيبة الأموال لإيميلي لشراء المسدس. أصرت على دعوة عمها لإنجاح خطتها، ثم نفذت الجريمة كما شرحتُ.

سألتُها: كيف حصلتِ على سلاح الجريمة؟ قالت باكيةً إنها حولت المال لإيميلي، التي اشترته وأرسلته مع صديقتها إلى القاهرة، ثم استلمته حبيبة.

أنهَت اعترافها قائلةً لعمها: أنا آسفة؛ لأنني حاولت إلصاق التهمة بك. لكن كان عليَّ إيجاد مَن يتحمل الجريمة لأرث وحدي. نظر إليها أنور بحزن عميق دون رد، ثم خرج من الغرفة. حجزناها حتى الصباح، وأبلغنا الشرطة، وسلمناها أنا وأنور. حُكم عليها بالسجن خمسة عشر عامًا وفق قانون الأحداث؛ فهي ما تزال قاصرًا. وهنا أترك لكم الحكم: هي جانية ومجني عليها في الوقت نفسه. ودومًا أصدق المقولة:

ليس صحيحًا ما يُشاع بأن الأطفال ينسون بسهولة؛ فكثيرٌ من الناس يعيشون حياتهم وهم رهائن لأفكار انطبعت في أعماقهم منذ سنوات طفولتهم المبكرة (أغاثا كريستي).

في النهاية، لا أستطيع القول إنني حزنتُ على موت صابر؛ فقد كان شخصًا سيئًا للغاية، مستعدًا للقتل والابتزاز وكل جريمةٍ تخطر على بال الشيطان. لكن ما أحزنني حقًا أن من دفع ثمن ما فعله صابر هي ابنته الصغيرة، التي دُمر مستقبلها الآن. لأول مرة أخرج من قضيةٍ حزينًا على القاتل، لا على المجني عليه؛ ففي قصتنا هذه، للأسف، المجني عليه يستحق القتل ألف مرة لا مرة واحدة. وأتمنى أن تكون هذه القضية درسًا للجميع: من قتلَ يُقتل ولو بعد حين، والحق سيعود لأصحابه مهما طال الزمن، ومن يدخل شيئًا بنية الطمع يخرج منه خاسرًا كل شيء، كما حدث مع نجلاء.

النهاية

dewanalarabegypt@gmail.com

01030502390

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف، ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي، أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه، أو تحويله رقميًا وإتاحته عبر شبكة الإنترنت، إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.